مقدمة
فى
علم التفسير

الدكتور
عبد الحى الفرماوى
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين - القاهرة
جامعة الأزهر

الطبعة السادسة
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على الهادى الأمين، المبعوث رحمة للعالمين. محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين.

وبعد:

فإنه لما نزل القرآن الكريم، أريد به أن يكون أداة أعجاز للمعارضين، وأريد به كذلك أن يكون وسيلة هداية لهم - فى ذات الوقت - مع المؤيدين.

ولما كان القرآن الكريم يهدف إلى هداية كل الناس فى الأولين والآخرين من مشارق الأرض ومغاربها .. !!

كان لابد من فهمه، والعمل بهديه، توصلا لحسن عبادة الله تعالى، وتوسلا لنيل رضوانه.

من أجل ذلك:

كانت الضرورة ملحة، والحاجة ماسة إلى دراسة تفسير القرآن الكريم، تعرفاً لمراد الله تعالى - بقدر الطاقة - فيما يشرع لعباده من أوامر ونواه، عليها يستقيم حالهم فى معاشهم ومعادهم، وتلمساً لهدى المولى سبحانه فى العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات؛ أملا فى الفوز بخيرى الدنيا والآخرة.

ولما كانت كتب التفسير بمناهجها الحالية المتعددة، لا تساعد - كثيراً - طلاب المعرفة على الوصول سريعاً إلى هذا الهدف .. !!

إذ أن علماءنا الكبار قد عنوا بتفسير القرآن الكريم تفسيراً جمعوا فيه بين كل جهة فى الكلام من مطول إلى مختصر، ومن واسع تعرض

للمذاهب الكلامية، وبيان آراء الفرق والمذاهب، ومن ضيق اختصر على المطلوب؛ كما أن البعض منهم نحا بتفسيره ناحية بلاغية، وآخر نحا ناحية فقهية؛ وثالث نحا ناحية الأبحاث اللغوية.

بَيْدَ أننا لا نجد منهم من تعرض لتفسير القرآن الكريم «تفسيراً موضوعياً» فقط. يكشف به للناس عما فيه من تشريعات وقواعد تتصل بحياتهم ومشاكلهم، وتبين لهم مابه من أحكام ومبادئ تشعرهم بما للقرآن الكريم من اتصال وثيق بالنظم السياسية والاجتماعية والحربية، والسلوك الأخلاقى، وتشعرهم - كذلك - بأنه معهم فى كل شأن من شئون الحياة، وأن له حكمه الواضح، وهديه البارز فى كل مظاهر السلوك الفردى والجماعى.

بالرغم من أن القرآن الكريم ملئ بالموضوعات التى تحتاج إلى دراستها دراسة منهجية موضوعية، لو توافر عليها الدارسون، وأعطوها إهتمامهم، لظهرت كنوز القرآن الكريم على أيديهم فى هذه الدراسات ظهورا يبين معه:

١) **أننا:** أغنى أمة بالتشريعات الصالحة لكل زمان ومكان، وأننا فى غنى عن استيراد هذه النظم التى يلاحقها التغيير المستمر، والقوانين الوضعية، الدخيلة، التى جعلتنا نعيش فى غربة عن ديننا.

٢) وأن ماتضمنه القرآن الكريم من أنواع الهداية: ليست نظريات بحته، يشتغل بها الناس من غير أن يكون لها مُثُلُ واقعية فيما يحدث للأفراد والجماعات من أقضية، أو يتصل بحياتهم من شئون.

٣) **وأنه يمكن لنا:** أن نخرج للمجتمع الاسلامى أحكاماً عامة مصدرها القرآن الكريم، فى صورة مواد وقوانين مدروسة، يسهل تناولها والانتفاع بها، رجاء أن يكتفى بها، ويعمل بمقتضاها من يهرعون عادة - عند

التقنين – إلى القوانين الوضعية، مهما اختلفت مصادرها، وتباعدت عن مجتمعنا وأحكام ديننا –

لذا .. كان لزاما علينا: أن نطلب ذلك كله عن طريق:

«التفسيرالموضوعى»

الذى يمكن: الداعية – محاضراً كان أو باحثاً – من الإحاطة بالموضوع القرآنى – المزمع دراسته – وزواياه، إحاطة تامة تمكنه من أن يعلل للناس أحكامه بطريقة واضحة وافية مقنعة، وتعينه على أن يكشف لهم أسراره وغوامضه بدرجة تستريح معهما قلوبهم وعقولهم إلى نزاهة الحكيم ورحمته بعباده فيما يشرع لهم.

كما أنه يساعده – مع طالب المعرفة عموماً – على الوصول إلى هدى القرآن دونما تعب أو تعطيل بين ماملئت به كتب التفسير المختلفة من مباحث لغوية أو فقهية .. الخ.

كما يمكنه هذا اللون من التفسير: من دفع التعارض، ورد الشبهات التى قد يثيرها ذوى الأغراض السيئة، خاصة فى هذا العصر الذى يثار فيه كثير من الغبار فى جو الأديان، لتنتشر المبادئ الشيوعية – وغيرها وتحلق فى سماء الإنسانية سحب الضلال والإلحاد.

وإذا كانت مباحث هذا اللون من التفسير، مفيدة، ولازمة على هذا النحو:

فلسنا بأحوج إليها، والاهتمام بها، والتشجيع عليها؛ حاجتنا إلى ذلك كله فى هذا العصر، الذى نحن فيه أحوج مانكون إلى تجديد أساليب الدعوة الإسلامية، كى نجارى الحالة الراهنة، ونتابع اهتمامات الناس، ونلاحق قضايا العصر، التى أصبح جيلنا فى حيرة من أمرها، وتطلع لرأى الدين فيها.

ولو قدمت له البحوث القرآنية بطريقة تناسب فى أسلوبها طرائق العصر ومفاهيمه، لوجد الناس فيها السكن لخواطرهم، والراحة لأفكارهم التى بلبلها التطور العلمى، بالإضافة إلى البعد عن الدين، ولعرفوا كذلك الطريق الموصل لحسن عبادة الله تعالى.

خاصة:

وأن الله تعالى: قد فتح أمامنا أفاقاً عريضة ووقع على كاهلنا الأخذ بيد كثير من أهل هذه الآفاق، وحق علينا أن نكون رواداً لهذه الشعوب ودعاة لهم إلى الله تعالى، وهداة لهم إلى الإسلام الذى جاهد الرسول ﷺ وأصحابه – من أجله – بسيوفهم، وبذل الكثير من المسلمين دماءهم – من أجل ذلك – فى سبيل الله.

فليس كثيراً أن نقوم بهذا الأمر إعلاءً لكلمة الله تعالى.

وهذا اللون من التفسير يخدمنا فى تحقيق هذا الهدف إلى حد كبير.

من أجل ذلك:

كانت هذه "البداية":

بهذه الدراسة المنهجية: التى تكشف عن ملامح هذا اللون من تفسير القرآن ومنهج الدراسة فيه.

ونسأل المولى التوفيق،

عبدالحى الفرماوى

القاهرة فى يوم الاثنين ٦ من المحرم سنة ١٣٩٧هـ.

٢٧ديسمبر سنة ١٩٧٦م.

مدخل

* نشأة علم التفسير.
* وجه الحاجة اليه.
* فائدة التفسير.
* حكم دراسته.
* شرفه.
* شروط المفسر.

نشأة علم التفسير

١) **القرآن الكريم:** هو النور الذى نزل به جبريل الأمين على قلب النبى ﷺ، ليكون لنا: دستورا عادلا، وتشريعاً خالداً، ونبراساً ساطعاً، وهديا واضحاً «فيه نبأ ماقبلك، وخبر مابعدكم، وحكم مابينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنه، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم».

قصد به المولى سبحانه الإنسان حيث يكون، وإلى أى جنس ينتمى، إذ يوجه نداءه - دائماً - إلى العقل والذوق السليم، والشعور الإنسانى النبيل.

فهو إذا دعوة عالمية: يهدف إلى تطهير العادات، وتوضيح العقائد وإسقاط الحواجز العنصرية والوطنية، وإحلال قانون الحق والعدل محل قانون القوة الغاشمة(١).

وقد نزل بالأحكام والشرائع منجما بحسب الحوادث والوقائع فى نيف وعشرين عاما.

ولما كانت هذه الأحكام والشرائع - أحيانا - لا يمكن العمل بها إلا إذا فهمت حق الفم، واستوضحت مغازيها، وكشفت أسرارها ومراميها، من حيث هى دين إلهى وهدى سماوى، ترشد الناس إلى مافيه سعادتهم فى حياتهم الدنيوية والأخروية.

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم ص١٧.

لما كـانت كـذلك؛ كـان النبى ﷺ يتـدارس مـاينزل من القـرآن مع أصحابه، يفصل لهم مجمله، ويوضح لهم مبهمه، ويفسر لهم مشكله؛ حتى لاتبقى فى النفس بقية من لبس.

فكان عليه الصلاة والسـلام المفسر لكتـاب الله تعالى بسنته القـولية والفعلية [١] كمـا قـال تعـالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[٢].

والذى يرجع إلى كتب السنة يجد أنها قد أفردت للتفسير بابا - من الأبواب التى اشتملت عليها - ذكرت فيه كثيراً من التفسير المأثور عن رسول الله ﷺ:

فمن ذلك:

ماأخرجه أحمد والترمذى وغيرهما عن عدى بن حبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المغضوب عليهم: هم اليهود، وإن الضالين: هم النصارى».

وما رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلاة الوسطى: صلاة العصر.

وما رواه أحمد والشيخان وغيرهم عن ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾[٣] شق ذلك على الناس، فقالوا يارسول الله: وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: إنه ليس الذى تعنون، ألم تسمعوا ماقال العبد الصالح: إن الشرك لظلم عظيم[٤]؟ إنما هو الشرك».

---

(١) تفسير المراغى ٥/١.

(٢) سورة النحل: الآية ٤٤.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٨٢.

(٤) الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ من سورة لقمان.

وغير هذا كثير مما صح عن رسول الله ﷺ(١)، مما أصبح المادة الرئيسية والمعتمد الأول لكتب التفسير بالمأثور.

وبما أثر وصح عن رسول الله ﷺ في هذا المجال يمكن لنا أن نقول: إن هذا العلم نشأ ووضعت بذوره الأولى على يديه وفى عهده ﷺ.

ولقد ظل عليه السلام مع أصحابه رضوان الله عليهم هكذا بالشرح والتوضيح والتفسير طيلة نزول القرآن حتى لحق بالرفيق الأعلى.

٢) وظل التفسير المأثور عن النبى ﷺ، وما أضيف إليه من تفسير الصحابة، والتابعين، وتابعيهم، ظل يتناقل شفهيا، حتى ابتدأ علم تدوين الحديث، ودون معه التفسير، وكان التفسير بابا من الأبواب التى أشتمل عليها الحديث، فلم يفرد له آنذاك تأليف خاص يفسر القرآن سورة سورة، وآية آية، من مبدئه إلى منتاه، بل وجد من العلماء من طوف فى الأمصار المختلفة ليجمع الحديث، فجمع بجوار ذلك ماروى فيها من تفسير منسوب إلى النبى ﷺ، أو إلى أصحابه، أو إلى التابعين(٢).

٣) وفى أواخر عهد بنى أمية، وأول عهد العباسيين، وخلال نهضة تدوين العلوم، انفصل التفسير عن الحديث، وأصبح علما قائماً بنفسه، ووضع التفسير لكل أية من القرآن، ورتب ذلك على حسب ترتيب المصحف، وتم ذلك على أيدى طائفة من العلماء منهم ابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣ هجرية، وابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ، والنسيابورى المتوفى سنه ٣١٨هـ، وغيرهم من أئمة هذا الشأن(٣).

٤) وظل علم التفسير ينمو وتتعدد أنواعه بتعدد ثقافات المفسرين حتى أصبح بالصورة التى نراه عليها اليوم، والتى يعرض هذا البحث بالإشارة إليها فى بعض صفحاته التالية.

---

(١) أنظر: كتب الحديث أبواب التفسير.

(٢) التفسير والمفسرين ١٤١/١.

(٣) نفس المراجع ١٤٢/١.

وجه الحاجة إلى التفسير

إعلم أن الأفراد لا ترقى، والأمم لا تنهض إلا عن طريق الاسترشاد بتعاليم القرآن التى عليها مدار السعادة، والعمل بهذه التعاليم لا يتأتى إلا عن طريق دراسة تفسيره، والوقوف على معانيه؛ إذ بدون التفسير لا يمكن الوصول إلى نفائس القرآن، ودقائق معانيه، التى تصل بالإنسان إلى سعادة الدارين.

وأنك إذا أردت معرفة السر فى نجاح سلفنا الصالح - مع قلة عددهم، وضيق ذات أيديهم - وجدت أنهم كانوا متوفرين على دراسته واستخراج كنوزه مع ماآتاهم الله من مواهب فطرية، وملكات سليمة[١].

وليس حرص الرسول ﷺ على تفسير كلام الله تعالى لأصحابه إلا تنفيذاً لقوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، وإلا ترجمة عملية لكونه رحمة للعالمين، بوصلهم إلى الكمال، ويقودهم إلى رضوان الله تعالى، ونحن محتاجون إلى ما كان يحتاج إليه الصحابة رضوان الله عليهم من التفسير، وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من الأحكام؛ لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم، فنحن فى أشد الحاجة إلى التفسير[٢].

ومن المعلوم: أن كل كمال دينى أو دنيوى، عاجل أو آجل، لا يتم إلا عن طريق العلوم الشرعية، والمعارف الدينية، وهذه العلوم والمعارف، إنما تلتمس عن طريق مأمون لا يتسرب إليه الخطأ، وعن طريق الكتاب المنزل على هذا المأمون، وهذا الكتاب هو القرآن، وهذا المأمون هو محمد ﷺ، وكان تفسير هذا الكتاب الكريم عن طريق هذا النبى ﷺ طريقاً إلى السلامة والسعادة فى الدنيا والآخرة.

---

(١) الدكتور عبد العظيم الغباشى. علوم القرآن ص٥.

(٢) السيوطى. الإتقان ٤/١٧٠.

فائدته

لتفسير القرآن الكريم فوائد منها:

(أ) معرفة - بقدر الطاقة - بمراد الله سبحانه وتعالى، فيما يشرع لعباده من أوامر ونواهٍ، عليها يستقيم حال البشر.

(ب) معرفة هداية الله فى العقائد، والعبادات، والأخلاق، والمعاملات؛ ليفوز الأفراد والجماعات بخيرى الدنيا والآخرة(١).

(جـ) معرفة أوجه الإعجاز فى القرآن الكريم، ليصل الدارس بذلك إلى الإيمان بصحة رسالة النبى ﷺ.

(د) التوصل لحسن عبادة الله تعالى؛ إذ فى التفسير انشغال الدارس بتلاوة كلام الله سبحانه وتعالى، وتعبد منه بمحاولته فهم مراده سبحانه على قدر الطاقة البشرية.

---

(١) الدكتور عبد العظيم الغباشى نفس المراجع ص٥.

حكم دراسته وشرفه

أجمع العلماء على أن دراسة التفسير من فروض الكفاية وأنه من أجل العلوم الشرعية[١]. وأشرفها.

قال الأصبهاني:

أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان، هى تفسير القرآن.

بيان ذلك:

أن شرف الصناعة: إما بشرف موضوعها، وإما بشرف غرضها، وإما لشدة الحاجة إليها، وصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث..

فأما عن جهة موضوعه؛ فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذى هو ينبوع كل حكمه، ومعدن كل فضيلة، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، لا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه.

وأما من جهة غرضه؛ فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقية التى لا تفنى.

وأما من جهة شدة الحاجة إليه؛ فلأن كل كمال دينى أو دنيوى، عاجل أو آجل - كما سبق بيانه - مفتقر إلى العلوم الشرعية، والمعارف الدينية، وهى متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى[٢].

---

(١) السيوطى. الإتقان ١٧٣/٤.

(٢) السيوطى : نفس المرجع ١٧٣/٤.

شروط المفسر

ينبغى أن يتوفر فيمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم.

١) صحة الاعتقاد ولزوم سنة الدين:

فإن من كان مغموصاً عليه فى دينه، لا يؤتمن على الدينا، فكيف يؤتمن على الدين؟

ولأنه لا يؤمن إن كان متهما بالإلحاد، أن يبغى الفتنة، ويُغْوِ الناس بِلَيِّةِ وخداعه.

وإن كان متهما بهوى لم يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته(١).

٢) وكذلك صحة المقصد:

أى: يقصد بما يفعل التقرب إلى الله تعالى دون شئ آخر، من تصنع لمخلوق، أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة أو مدح من الخلق، أو معنى من المعانى، سوى التقرب إلى الله تعالى.

وذلك: ليلقى التسديد والتوفيق.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾(٢).

وإنما يخلص له القصد: إذا زهد فى الدنيا، لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوصل به إلى غرض من أغراض الدنيا - يصده عن قصده، ويفسد عليه صحة عمله(٣) من مال، أو رياسة، أو وجاهة أو ارتفاع على أقرانه، أو ثناء عند الناس، أو صرف وجوه الناس إليه أو نحوذلك(٤).

---

(١) السيوطى : نفس المرجع ١٧٤/٤.

(٢) العنكبوت ٦٩

(٣) السيوطى : نفس المرجع ١٧٥/٤.

(٤) النووى. التبيان فى آداب حملة القرآن ص ٥

٣) أن يكون اعتماده على النقل عن النبى ﷺ، وأصحابه، ومن عاصرهم ويتجنب المحدثات(١).

٤) أن يكون جامعاً للعلوم التى يحتاجها المفسر، وهى خمسة عشر علما(٢).

الأول: اللغة؛ لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع.

الثانى: النحو؛ لأن المعنى يتغير، ويختلف باختلاف الإعراب، فلابد من اعتباره.

الثالث: التصريف؛ لأن به تعرف الأبنية والصيغ.

الرابع: الاشتقاق؛ لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفين، اختلف المعنى باختلافهما، كالمسيح هل هو من السياحة أو من المسح؟

الخامس: علم المعانى، إذ يعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى.

السادس: علم البيان، إذ يعرف به خواص تراكيب الكلام من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها.

السابع: علم البديع؛ إذ به يعرف وجوه تحسين الكلام.

وهذه العلوم الثلاثة: هى علوم البلاغة وهى من أعظم أركان المفسر، لأنه لابد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وهو لا يدرك إلا بهذه العلوم.

---

(١) السيوطى: نفس المراجع ٤/١٧٤.

(٢) السيوطى : نفس المرجع ٤/١٨٥.

الثامن: علم القراءات؛ لأن به يعرف كيفية نطق القرآن، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

التاسع: أصول الدين بما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى، فالأصولي يؤول ذلك، ويستدل على ما يستحيل، وما يجب، وما يجوز.

العاشر: أصول الفقه، إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام، والاستنباط.

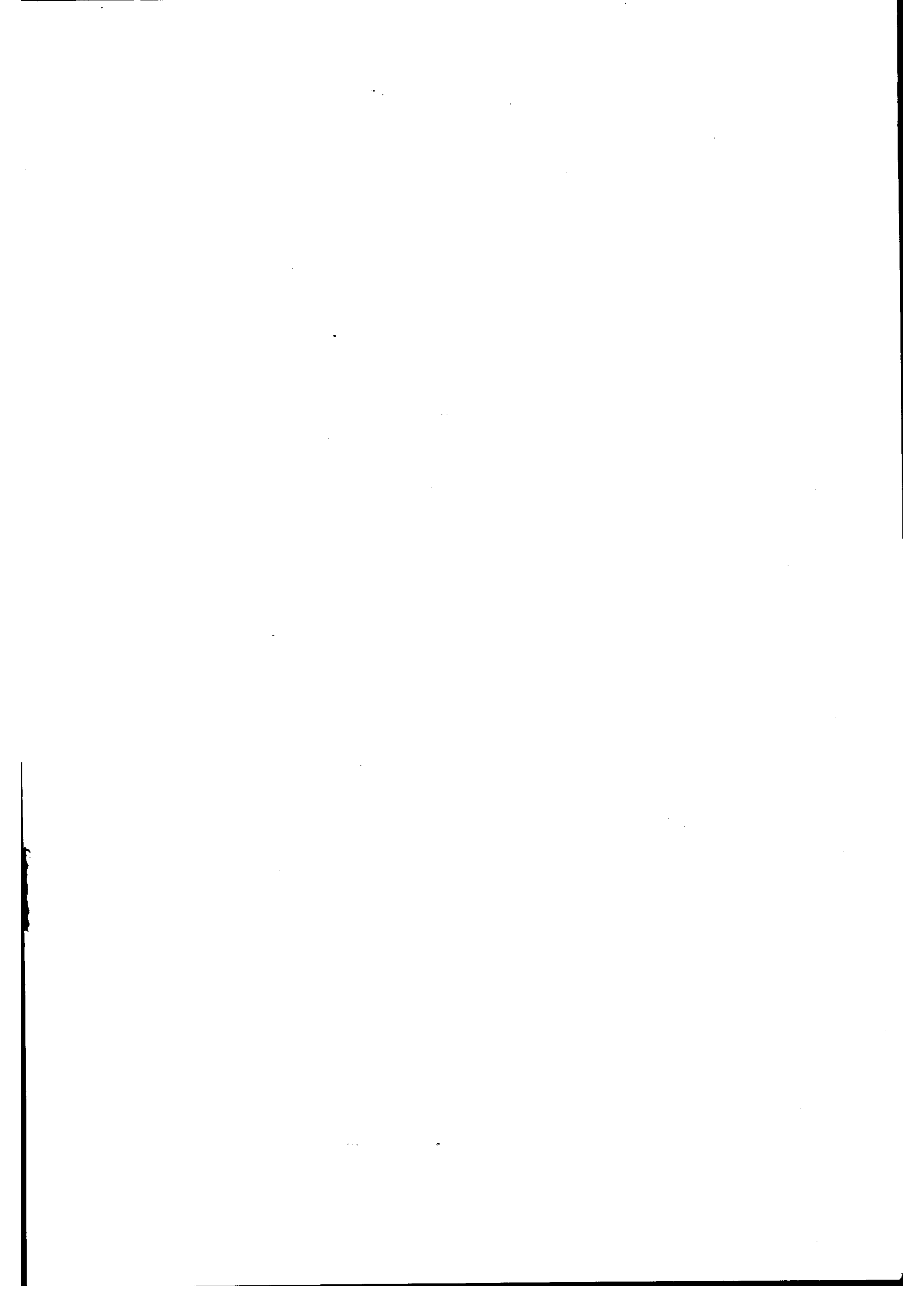
الحادي عشر: أسباب النزول والقصص، إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه.

الثاني عشر: الناسخ والمنسوخ، ليعلم المحكم من غيره.

الثالث عشر: الفقه.

الرابع عشر: الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم.

الخامس عشر: علم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بحديث «من عمل بما علم، ورثه الله علم ما لم يعلم».

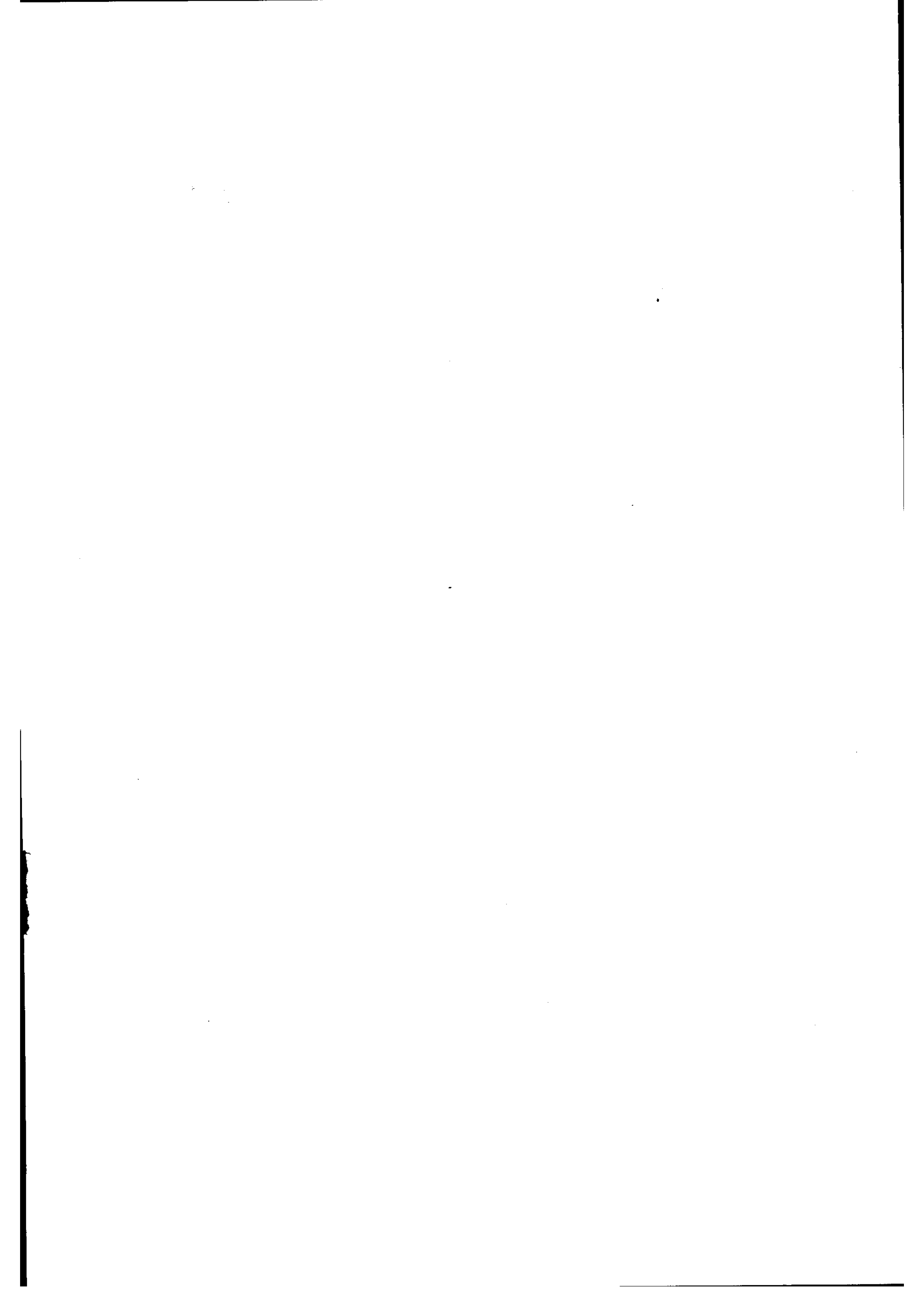


مناهج التفسير

عرض موجز

تمهيد:

* أولا : التفسير التحليلى.
* ثانيا : التفسير الإجمالى.
* ثالثا : التفسير المقـــارن.
* رابعا : التفسير الموضوعى.



★ تمهيد:

ولأن القرآن الكريم بحر لا تفني عجائبه، ولا تنقضي على مر الزمان عائبة؛ فقد تعددت فيه التفاسير، وتنوعت فى فهمه المناهج، وأصبحت مكتبة التفسير دليلا واضحاً على اهتمام علماء المسلمين بشرح كلمات كتابهم العزيز، ومحاولاتهم توضيح مفاهيم وأغراض القرآن الكريم.

وقد قام العلماء بتصنيف هذه المؤلفات التى ظهرت فى مكتبة التفسير، وتوضيح مناهج أصحابها.

فكانت على النحو التالى:

* **المنهج التحليلى.**

* **المنهج الإجمالى.**

* **المنهج المقارن.**

* **المنهج الموضوعى.**

وسوف نتعرض - بإذن الله تعالى - بالشرح الموجز للمناهج الثلاثة الأولى، وبالشرح المستفيض - نوعا ما - بالنسبة للتفسير الموضوعى، وذلك لحداثة الاهتمام به، وتشوق الأذهان إلى معرفة منهج البحث فيه، فى الوقت الذى لم يحظ حتى الآن بالتوضيح الذى يجليه، ويكشف للباحثين والدارسين طريقة هذا المنهج الذى تشتد إليه الحاجة فى وقتنا الحاضر.

أولا - التفسير التحليلى

وهو بيان الآيات القرانية بالتعرض لجميع نواحيها، والكشف عن كل مراميها: وذلك بأن يمضى المفسر فى شرحه للقرآن الكريم مع النظم القرآنى على ما هو موجود فى المصحف آية بعد آية. وسورة بعد سورة، متتبعاً معانى المفردات للألفاظ فى شرحها، ذا كراً ما تضمنته من المعانى فى جملها، وما ترمى إليه فى تراكيبها، منقباً عن المناسبات بين مفاصلها، ذا كراً وجه الربط بين مقاصدها، مستعيناً على الوصول إلى ما تهدف إليه، وتدل عليه، بذكر أسباب النزول، وما نقل عن الرسول ﷺ فى ذلك، أو عن الصحابة، والتابعين، مازجاً ذلك تارة بما تستنبطه قريحتة، وتملية عليه ثقافته، وتارة بالأبحاث اللغوية إلى غير ذلك من البحوث المعينة على خدمة وفهم النص الشريف.

وذلك النوع من التفسير يختلف فيه أصحابه بين مطنبين وموجزين، كما يختلفون فى منهجهم، ويتنوعون فى مشربهم(١).

والتقسيم التالى يلقى الضوء على مشارب بعض المفسرين للقرآن الكريم تفسيراً تحليلياً على النحو التالى:

* **التفسير بالمأثور.**
* **التفسير بالرأى.**
* **التفسير الصوفى.**
* **التفسير الفقهى.**
* **التفسير الفلسفى.**
* **التفسير العلمى.**
* **التفسير الأدبى الاجتماعى.**

---

(١) دكتور: محمد حسين الذهبى التفسير والمفسرون ١/١٥٢.

• التفسير بالمأثور:

يطلق التفسير بالمأثور على:

ما جاء فى القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته.

وما نقل عن الرسول ﷺ فى التفسير الذى كان يبين به لبعض أصحابه ما أشكل عليهم.

وما نقل عن الصحابة الذين تكلموا فى تفسير القرآن باجتهادهم.

وما نقل عمن تصدى للتفسير من التابعين مما أضافوه باجتهادهم نتيجة الغموض الذي تزايد على الناس فى بعض معانى القرآن كلما بعدوا عن عصر النبى ﷺ وأصحابه(١).

وقد مر التفسير بالمأثور بمرحلتين:

الأولى: المرحلة الشفهية، وتسمى المرحلة الروائية .. وفى هذه المرحلة كان الصحابى ينقله عن رسول الله ﷺ، وينقله الصحابى عن الصحابى، والتابعى عن الصحابى، نقلا أميناً دقيقاً واعياً بالإسناد حتى كانت المرحلة التالية.

الثانية: مرحلة التدوين وفيها: سجل ما صح نقله من التفسير بالمأثور خلال المرحلة الأولى، وكان ذلك يوجد فى كتب الحديث أول الأمر، حتى أصبح علماً قائماً بنفسه - كما قدمنا - وكتبت فى التفسير كتب مستقلة روت التفسير بالمأثور، مرويا بالإسناد إلى رسول الله ﷺ، وإلى الصحابة، والتابعين، وتابعى التابعين، ولم يكن في هذه الكتب شئ من التفسير بالمأثور، اللهم إلا ابن جرير، فإنه ذكر الأقوال ثم وجهها، ورجح بعضها على

بعض، وزاد على ذلك الإعراب إن دعت إليه حاجة، واستنباط الأحكام التى يمكن أن تؤخذ من الآيات القرانية[١].

ثم جَدَّ بعد هذا أقوام دوَّنوا التفسير المأثور بدون أن يذكروا أسانيدهم فى ذلك، وأكثروا من نقل الأقوال فى تفاسيرهم بدون تفرقة بين الصحيح والعليل، مما جعل الناظر فى هذه الكتب لا يركن لما جاء فيها، لجواز أن يكون من قبيل الموضوع المختلق، وهو كثير فى التفسير[٢] ولكن - والحمد لله - كشفت الدراسات الجادة عن كثير من هذه الروايات المختلقة.

ومن الكتب المؤلفة فى التفسير بالمأثور:

جامع البيان فى القرآن الكريم لابن جرير الطبرى تـ ٣١٠هـ.

معالم التنزيل.	للبغوى	تـ ٥١٦هـ.
تفسير القرآن العظيم	لابن كثير	تـ ٧٧٤هـ.
الدر المنثور فى التفسير بالمأثور	للسيوطى	تـ ٩١١هـ.

• التفسير بالرأى

وهو عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المفسر لكلام العرب، ومناحيهم فى القول، ومعرفتهم للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته فى ذلك بالشعر الجاهلى، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن الكريم، وغير ذلك من الأدوات التى يحتاجها المفسر[٣]، وقد سبق ذكرها عند الكلام على شروط المفسر.

---

(١) نفس المرجع ١/١٤٢.

(٢) نفس المرجع ١/١٥٤.

(٣) نفس المرجع ١/٢٦٥.

سبب ظهور هذا النوع من التفسير:

لما كان عصر تفتح المعارف الإسلامية، وازدهار ألوانها، وتفوق العلماء في فنونها، وتعددت التآليف، وتكاثرت التفاسير وتنوعت، واصطبغت بفنون أصحابها؛ إذ نحا كل مفسر نحواً يغاير الآخر، فمن باحث عن الوجوه البلاغية كالإمام الزمخشري، إلى مفصل للأحكام الشرعية كالإمام القرطبي، إلى ذاكر بدائع لغوية، وتراكيب تأخذ بالألباب كالإمام أبي السعود، إلى متحدث عن القراءات ووجوهها كالإمام النيسابوري والإمام النسفي، إلى متعرض للمذاهب الكلامية والفلسفية كالإمام الرازي .. إلى غير ذلك، على خلاف بين موسوعاتهم في التفسير، ومختصراتهم فيه.

وعلة ذلك: أن العالم منهم بجانب كونه مفسراً، كان فقيها، أو لغوياً، أو فليسوفاً، أو عالماً بالفلك، أو الطب، أو علم الكلام.

وظهرت هذه الإنطباعات الشخصية في تفاسيرهم، حتى إذا ما جاءت آية قرآنية لها صلة بما له به علم صَبَّ فيها معارفه، وربما صال معها وجال بدرجة يترك معها التفسير جانباً[1].

ومن هنا: نشأت مدارس التفسير المختلفة - كما سنرى - إلى جانب مدرسة التفسير بالمأثور التي سبق ذكرها.

المقبول من التفسير بالرأي، والمردود منه:

ويقبل في التفسير، ما توافرت له شروطه على الوجه السابق، وما دام المفسر قد تجنب فيه خمسة أمور:

١) التهجم على مراد الله تعالى من كلامه، دون توافر شروط المفسر له.

٢) الخوض فيما استأثر الله تعالى بعلمه.

---

(١) دكتور أحمد كمال المهدي. آيات القسم في القرآن الكريم ص ٤

٣) السير مع الهوى والإستحسان.

٤) التفسير المقرر للمذهب الفاسد، بأن يجعل المذهب أصلا، والتفسير تابعاً، فيركب لذلك الأخطاء.

٥) التفسير مع القطع بأن مراد الله تعالى كذا وكذا من غير دليل[١].

ومادام المفسر قد تجنب هذه الأمور الخمسة، مخلصاً نيته لله تعالى، متقربا إليه بعلمه: كان تفسيره مقبولا، ورأيه فيه معقولا.

وإلا: فهو صاحب بدعة، وتفسيره مذموم، وغير مقبول[٢].

ومن الكتب المؤلفة فى التفسير بالرأى المقبول:

مفاتيح الغيب.	الفخر الرازى تـ ٦٠٦هـ.
أنوار التنزيل وأسرار التأويل	للبيضاوى تـ ٦٩١هـ.
مدارك التنزيل وحقائق التأويل	للنسفى تـ ٧٠١هـ
لباب التأويل فى معانى التنزيل	للخازن تـ ٧٤١هـ.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبى السعود تـ٩٨٢هـ

• التفسير الصوفى:

ومع اتساع الثقافة وإزدهارها وتنوع العلوم وتشعبها تطور التصوف واتخذ على يد أصحابه ناحيتين كان لهما أثرهما فى تفسير القرآن الكريم.

(أ) التصوف النظرى:

وقد وجد من أصحاب هذه النزعة التى تقوم على البحث والدراسة من

---

(١) دكتور محمد حسين الذهبى. المرجع السابق ١/٢٧٥.

(٢) نفس المرجع ١/٢٦٣.

نظر إلى القرآن نظرة تتمشى مع نظرياتهم، وتتفق مع تعاليمهم، ويحاول جاهداً أن يجد فى القرآن ما يشهد لنظرياته وتعاليمه، فتراه من أجل هذا يتعسف فى فهمه للآيات القرآنية ويشرحها شرحاً يخرج بها عن ظاهرها الذى. يؤيده الشرع، وتشهد له اللغة.

وهذا النفسير مرفوض إلا فى حدود ضيقة جداً (١).

ويقول الدكتور الذهبى: ولم نسمع بأن أحداً ألف فى التفسير الصوفى النظرى كتاباً خاصاً يتتبع القرآن آية آية، كما ألف مثل ذلك بالنسبة للتفسير الإشارى، وكل ما وجدناه من ذلك هو نصوص متفرقة اشتمل عليها التفسير المنسوب إلى ابن عربى، وكتاب «الفتوحات المكية» له، وكتاب «الفصوص» له - أيضاً - كما يوجد بعض من ذلك فى كثير من كتب التفسير المختلفة المشارب.

(ب) التصوف العملى:

وهو التصوف الذى يقوم على التقشف والزهد والتفانى فى طاعة الله تعالى(٢).

وأصحاب هذا الإتجاه يسمى تفسيرهم للقرآن، التفسير الإشارى.

وهو: تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة (٣).

وليس هذا النوع من التفسير بالأمر الجديد فى إبراز معانى القرآن الكريم، بل هو معروف من لدن نزوله على رسول الله ﷺ، أشار إليه

---

(١) أنظر: نفس المرجع ٣/١٦.

(٢) نفس المرجع ٣/٥.

(٣) نفس المرجع ٣/١٨.

القرآن[١] ونبه عليه الرسول ﷺ[٢]، وعرفه الصحابة رضوان الله عليهم، وقالوا به[٣] ومن هنا ندرك أن هذا النوع - مثل التفسير بالمأثور - قديم.

وهذا التفسير مقبول إذا توفر له من الشروط:

أولاً: أن لايكون منافياً للظاهر من النظم القرآني:

ثانياً: أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.

ثالثاً: أن لايكون له معارض شرعي أو عقلي.

رابعاً: أن لايدعي صاحبه أن هذا التفسير هو المراد وحده دون الظاهر، بل لابد من الإعتراف بالمعنى الظاهر أولاً[٤].

ومن الكتب المؤلفة في هذا النوع من التفسير[٥].

تفسير القرآن العظيم للتستري: ٢٨٣هـ.

حقائق التفسير للسلمي: ٤١٢هـ.

عرائس البيان في حقائق القرآن للشيرازي: ٦٠٦هـ.

• التفسير الفقهي:

ومع ميلاد التفسير بالمأثور: ولد التفسير الفقهي، ونقلاً معاً، دون تفرقة أو تمييز بينهما، وذلك أن الصحابة - كما قدمنا - كان كلما أشكل - أو غمض - عليهم من القرآن حكم، رجعوا فيه إلى النبي ﷺ، فيجيبهم، وإجابته ﷺ هذه تعتبر من قبيل التفسير بالمأثور، كما أنها تعتبر من قبيل التفسير الفقهي، وبعد وفاته ﷺ، كان الصحابة يهرعون فيما يجدُّ لهم من الأقضية إلى القرآن، يستنبطون منه الأحكام الشرعية، وكان اجتهادهم هذا يعتبر من التفسير الفقهي. وهكذا في عصر التابعين.

---

(١) في قوله تعالى ﴿فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا﴾ النساء ٧٨.

(٢) في الحديث «لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حد. ولكل حد مطلع»

(٣) أنظر الموضوع بتوسع في التفسير والمفسرون ١٩/٣.

(٤) التفسير والمفسرون ٤٣/٣.

(٥) أنظر: نفس المرجع جـ٣.

وظل التفسير الفقهى ينمو ويزدهر مع تقدم الإجتهاد، وحصيلته تكثر وتتناقل بعيداً عن الأهواء والأغراض، من مبدأ نزول القرآن إلى وقت قيام المذاهب المختلفة.

وفى عهد ظهور المذاهب الأربعة وغيرها، جدت حوادث كثيرة للمسلمين لم يسبق لمن تقدمهم حكم عليها؛ لأنها لم تكن على عهدهم، فأخذ كل إمام ينظر إلى هذه الحوادث تحت ضوء القرآن والسنة وغيرهما من مصادر التشريع، ثم يحكم عليها بالحكم الذى ينقدح فى ذهنه، ويعتقد أنه هو الحق الذى يقوم على الأدلة والبراهين(١).

ثم خلف لأصحاب هذه المذاهب أتباع كان منهم المتعصب الذى كان ينظر إلى الآيات القرآنية من خلال مذهبه، فينزل هذه الآيات على مايوافق مذهبه.

وكان منهم غير المتعصب الذى كان ينظر إلى الآيات نظرة خالية من الهوى المذهبى، فينزلونها على حسب مايظهر لهم، وينقدح فى ذهنهم(٢).

فنجد أن لأهل السنة: تفسيراً فقهياً متنوعا بدأ نظيفاً من التعصب، ثم لم يلبث أن تلوث به.

وللظاهرية: تفسير فقهى يقوم على الوقوف عند ظواهر القرآن دون أن يحيد عنها.

وللخوارج: تفسير فقهى يخصهم.

وللشيعة: تفسير فقهى يخالفون به من عداهم.

---

(١) التفسير والمفسرون ٩٩/٣.

(٢) نفس المرجع ١٠١/٣.

وكل فريق من هؤلاء يجتهد فى تأويل النصوص القرآنية، حتى تشهد له، أو لاتعارضه على الأقل؛ مما أدى ببعضهم إلى التعسف فى التأويل، والخروج بالألفاظ القرآنية عن معانيها ومدلالوتها.

والتفسير الفقهى: نجده منبثاً خلال الكتب الفقهية لأصحاب المذاهب المختلفة، كما أننا نجد أن كثيراً من العلماء ألفوا - بعد عصر التدوين - على اختلاف مذاهبهم فى التفسير الفقهى[١].

ومن الكتب المؤلفة فيه:

أحكام القرآن	للجصاص ت ٣٧٠ هـ.
أحكام القرآن	لابن العربى ت ٥٤٣ هـ.
الجامع لأحكام القرآن	للقرطبى ت ٦٧١ هـ.

• التفسير الفلسفى:

سبق أن ذكرنا أن السبب فى تنوع كتب التفسير كان تفتح الثقافة وازدهار دوحتها وتشعب فروعها، ونذكر الآن أنه فى هذه الأثناء: نشطت حركة الترجمة فى عهد العباسين، وفتحت كنوز المعارف، وترجمت كتبها المتنوعة، ومن هذه الكتب كتب الفلسفة.

(أ) فريق لم يتقبلها؛ لأنه وجدها تتعارض مع الدين، فكرس حياته للرد عليها وتنفير الناس منها.

وكان على رأس هؤلاء الإمام الغزالى، والفخر الرازى، الذى تعرض فى تفسيره لنظريات الفلاسفة التى تبدو فى نظره متعارضة مع الدين، ومع القرآن على الأخص، فردها وأبطلها بمقدار ما أسعفته الحجة وانقاد له الدليل[٢].

---

(١) نفس المرجع ونفس الصفحات.

(٢) التفسير والمفسرون ٨٣/٢ بتصرف.

(ب) وفريق أعجب بها إلى حد كبير، رغم مافيها من نظريات تبدو متعارضة مع نصوص الشرع القويم وتعاليمه، التى لايلحقها الشك ولاتحوم حولها الشبهة.

وعمل هذا الفريق على التوفيق بين الفلسفة والدين وإزالة تعارضهما، ولكنهم لم يصلوا فى توفيقاتهم هذه إلا إلى حلول و سطى(١). كما أن شروحهم لآيات القرآن الكريم: شروح تقوم على نظريات فلسفية بحته، لايمكن أن يتحملها النص القرآنى بحال من الأحوال(٢).

ومن الكتب المؤلفة فى هذا النوع:

من كتب الفريق الأول:

مفاتيح الغيب للفخر الرازى ت ٦٠٦ هـ.

وأما بالنسبة للفريق الثانى:

فيقول الدكتور الذهبى: «لم نسمع أن فيلسوفا من هؤلاء الفلاسفة الذين تحكمت الفلسفة فى عقولهم ألف لنا تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم، وكل ماوجدناه لهم فى ذلك لا يعدو بعض أفهام قرآنية مفرقة فى كتبهم التى ألفوها فى الفلسفة(٣).

• **التفسير العلمى(٤):**

(أ) تمهيد:

لقد كانت دعوة القرآن دعوة علمية، قائمة على تحرير العقول من الأوهام وإطلاق عقال الفكر، وحثه على النظر فى صحف الكون، فهو سبحانه وتعالى كما حثنا على النظر فى صحفه المسطورة، حثنا على

---

(١) نفس المرجع ٣/٨٤.

(٢) نفس المرجع ٣/٩٠.

(٣) نفس المرجع ٣/٩٠.

(٤) توسعنا فى الحديث عن هذا النوع بعض الشئ لعلاقته الوثيقة بالتفسير الموضوعى.

النظر فى صحفه المنظورة؛ لذلك نرى الكثير من آيات القرآن تنتهى بمثل قوله تعالى:

(قدْ فصَّلْنا الآياتِ لقومٍ يَعْلَمُون)، وبقوله: (لِقومٍ يفقهون) وبقوله (لقوم يتفكرون).

وإن ماتنطوى عليه الآيات الكونية من معان دقيقة ليدل على أنها: موجهة إلى أهل النظر والبحث بصفة خاصة، وأنهم هم المقصودون بأمر كشفها ومعرفتها؛ لأنهم يملكون بعلمهم وسيلة معرفتها دون سواهم، كما لايملك معرفة بلاغة الكلام إلا البلغاء، ولايميز الجوهر الثمين من غيره إلا الخبراء[١].

ولما أدرك العلماء هذه الحقيقة، قام بعضهم بتفسير الآيات الكونية، على مقتضى أصول اللغة وغريبها، وعلى قدر ما توفر لديهم من العلم، ونتاج البحث فى الكائنات.

ولكنهم على الرغم من ذلك: قد اقتصروا فى تفسير الآيات الكونية على إيضاح كل آية فى موضعها من الكتاب العزيز منفصلة عن باقى الآيات التى تشاركها فى الموضوع[٢].

ومن العلماء الذين تحمسوا لهذا اللون من التفسير فى القديم.

الإمام الفخر الرازى	فى تفسيره الكبير
والإمام الغـــزالى	فى إحياء علوم الدين وجواهر القرآن
والإمام الســيوطى	فى الإتقان

وفى عصورنا الحديثة: بالرغم من رفض بعض العلماء - كما سنرى - لهذا اللون من التفسير، نجد المؤلفات بدأت تظهر فيه، وأنه

---

(١) التفسير العلمى ص ٢.

(٢) نفس المرجع ص ٣٢.

قد لقى من عناية كثير من الباحثين والمتخصصين الشئ الكثير.

(ب) موقف بعض العلماء - المعاصرين - من هذا التفسير.

وهذا النوع من التفسير: لايحظى بقبول بعض العلماء.

فهم يرون: أن هذه نظرة للقرآن خاطئة؛ لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون، وأنواع المعارف، وخاطئة كذلك؛ لأنها تحمل أصحابها والمقرين بها على تأويل القرآن تأويلا متكلفاً يتنافى مع الإعجاز، ولايسيغه الذوق السليم.

ولو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة؛ لعرضناه للتقلب معها وتحمل تبعات الخطأ فيها، ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفاً حرجاً فى الدفاع عنه.

وماعلينا: إلا أن ندع للقرآن عظمته وجلالته، ولنحفظ عليه قدسيته ومهابته، ولنعلم أن ماتضمنه من الإشارة إلى أسرار الخلق، وظواهر الطبيعة: إنما هو لقصد الحث على التأمل والبحث والنظر؛ ليزداد الناس إيماناً مع إيمانهم.

وحسبنا أن القرآن لم يصادم - ولن يصادم - حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول[١].

وليعلم أصحاب هذه الفكرة: أن القرآن غنى عن أن يعتز بمثل هذا التكلف الذى لاشك يخرج به عن هدفه الإنسانى الإجتماعى، فى إصلاح الحياة ورياضة النفس، والرجوع بها إلى الله تعالى[٢].

والذى حمل العلماء على أن يقفوا من التفسير العلمى هذا الموقف، عوامل شتى: أهمها - فى رأى الأستاذ حنفى أحمد - وراثة العقيدة التى

---

(١) تفسير القرآن ص ١٤.

(٢) التفسير والمفسرون ٣/١٦٠.

كانت ولاتزال سائدة فى الأذهان بأن القرآن رسالة هداية وإرشاد لا شأن لها بأصول العلوم الكونية، وأن حديثه عن الكائنات لايحتاج فى فهمه إلا لمجرد التعقل والخبرة العادية، وقد زاد من رسوخ هذه العقيدة الموروثة فى أذهان أهل العلم والمتعلمين رؤيتهم هذا الحديث مفرق الأجزاء بين السور والآيات المختلفة على غير ماهو معروف ومألوف لديهم فى تصنيف الكتب العلمية، فظنوا بذلك أنه لا علاقة ولا رابطة بين أجزاء هذا الحديث فى الموضوع الواحد.

ولقد استبعد أهل العلم والفكر وجود علم مفصل عن الكائنات فى القرآن فغاب عنهم بسبب ذلك مفتاح طريق البحث فيه، ألا وهو جمع آياته المتفرقة وتبويبها حسب موضوعاتها ثم بحثها بحثاً كاملاً(١).

ولهذه الأسباب: كان طبيعياً ألا يفكر المتخصصون فى العلم الحديث من المسلمين فى النظر والبحث فى القرآن، وألا يظهر لهم بحوث فيه، وكان طبيعياً أن تتسرب إلى أذهان المثقفين عامة بالعلم الحديث من المسلمين عقيدة الإفرنج بأن الكتب المنزلة جميعاً لاتحوى علماً دقيقاً بالكائنات، وأن تصورهذه العقيدة فى أذهانهم كما صورت فى ذهان الإفرنج أن العلم والدين ضدان لايجتمعان.

لذلك: انصرف جمهور المتعلمين من المسلمين عن مطالعة كتابهم العزيز وعن التدبر فيه؛ لأنه فى ظنهم ليس فيه من العلم الذى تثقفوا به مايجذبهم إليه أو يحبب إليهم البحث فيه.

ثم زاد فى انصرافهم هذا: مارأوه للأسف من عدم الإهتمام بأمر التثقيف والتهذيب الدينى بجانب التثقيف بالعلم الحديث فى معاهد التعليم العام والعالى، تثقيفاً يربى العقيدة الصحيحة ويخلق الشخصية القوية.

---

(١) وهو نفس منهج التفسير الموضوعى كما سنراه قريباً.

وما شاهدوه - أيضاً - من مخالفة كثير من القوانين ونظم الإجتماع فى البلدان الإسلامية مخالفة صريحة لتشريعات الدين باسم السير مع عجلة الزمان وعدم التخلف عن ركب المدنية، بإعتدال أو بغير اعتدال[١].

(جـ) موقف الباحثين المسلمين منه.

وبالرغم من هذه الموانع وهذه العوائق، وهذا التحفظ: وجد من قام فى مضمار التفسير العلمى بجهود طيبة بذلها بعض أفاضل علمائنا المعاصرين فى مكنون معانى الآيات الكونية أمثال:

الأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوى[٢]، الذى بحث فى كتابه «سنن الله الكونية» كثيراً من الآيات التى تشير إلى الظواهر الجويّة بحثاً مستفيضاً وسائغاً.

والأستاذ الدكتور عبد العزيز اسماعيل الذى فسر فى كتابه «الإسلام والطب الحديث» بعض الآيات الكونية تفسيراً علمياً أظهر به وجه الإعجاز فيها.

والمرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى فى تفسيره الواسع للقرآن الذى أفاض وأسهب فيه، وبين كثيراً من العلوم المختلفة التى تشير إليها الآيات الكونية، لو لا أنه - رحمه الله - قد زاد فى هذا البيان، حتى جاوز حدود معانى الآيات ولم يحاول الجمع بينها، فخفى بذلك كثير من حقيقة ومقدار العلم المنزل فيها.

---

(١) التفسير العلمى للايات الكونية فى القرآن الكريم للأستاذ حنفى أحمد ص٤ وما بعدها.

(٢) الدكتور الغمراوى كان عميداً بكلية الصيدلة سابقاً، وقد انتدب لتدريس الآيات الكونية لطلبه الدراسات العليا بكلية أصول الدين فترة قبل وفاته رحمه الله.

والمرحوم أحمد مختار الغازى الذى ألف كتابا أسماه «رياض المختار» تناول فيه بحث الآيات الكونية فى القرآن، وبحثه على جلال قدره كان محدداً وقاصراً على ناحية من نواحى العلم الحديث[١].

والأستاذ حنفى أحمد فى كتابه «التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن الكريم»:

والأستاذ الدكتور زغلول راغب النجار - حفظه الله - فى كتاباته عن الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، التى تنشر على حلقات أسبوعية بصحيفة الأهرام إبتداءً من الاثنين ٢٣/٤/٢٠٠١م وحتى إضافة هذه السطور بهذه الطبعة ١/١١/٢٠٠١م.

(د) وختاما فالذى نراه فى موضوع التفسير العلمى:

أنه - **أولا** - نوع من التفسيرالموضوعى الذى اتجه البحث بجدية إليه فى عصرنا الحاضر، وحكم البحث فيه على هذا هو حكم البحث فى التفسير الموضوعى.

وثانيا: أن التفسير العلمى يكون مقبولا وسائغاً، إذا لم يكن فيه إكراه للآيات، وقسر لألفاظها، وتعسف فى استخراج المعانى العلمية منها، وكان إثبات معانى الآيات وفق مقتضيات اللغة ومتواتر المنقول عن غرائبها مع الأخذ بظاهر المعنى مالم يمنع منه مانع من العقل أوالنقل، وفى حدود المعانى المحتملة للألفاظ والآيات دون نقص أو زيادة.

وكان التفسير على سبيل الإستئناس والتأييد للحقيقة العلمية، وليس على أن هذه الحقيقة تحمل معها التأييد لهذا التفسير أو ذاك، وإلا كان قطعاً بمراد الله، وفى هذا تعريض لأخطار لا يمكننا الدفاع عنها، إذ أن

---

(٣) الأستاذ حنفى أحمد: المرجع السابق ص٣.

العلم لا يعرف الثبات والاستقرار؛ فقد يصح اليوم فى نظر العلم مايصبح غداً من الخرافات، فيجدر بنا أن ننبه من أول الأمر على أن القرآن فى عليائه بعيد عن هذه التغيرات والتقلبات.

فإذا ماكان كذلك: كانت دراسة الجوانب العلمية فى القرآن الكريم كطريق للهداية، وكأسلوب للتفاهم مع من لا يجيدون سواه، أمراً ضرورياً تحتمه الظروف، وتتطلبه طرائق العصر وأساليبه.

وإذا كان التفسير على غير هذا فهو مرفوض شكلا وموضوعاً.

• التفسير الأدبى الاجتماعى:

ومما تفتق عنه العصر الحديث: نوع من التفسير لم يعد يظهر عليه ذلك الطابع الجاف، الذى يصرف الناس عن هداية القرآن الكريم، وإنما ظهر عليه طابع آخر، وتلون بلون يكاد يكون جديداً وطارئاً على التفسير.

ذلك هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولا وقبل كل شئ على إظهار مواضع الدقة فى التعبير القرآنى، ثم بعد ذلك تصاغ المعانى التى يهدف القرآن إليها فى أسلوب شيق أخاذ، ثم يطبق النص القرآنى على مافى الكون من سنن الإجتماع، ونظم العمران(١)، وذلك بعيداً عن التأثر باصطلاحات العلوم والفنون، التى زج بها فى التفسير بدون أن يكون فى حاجة إليها، ولم تتناول من ذلك إلا بمقدار الحاجة، وعلى حسب الضرورة(٢).

ثم إن هذه المدرسة التى نهجت بالتفسير منهجاً أدبياً إجتماعياً - بالرغم من بعض عيوبها - كشفت عن بلاغة القرآن وإعجازة، وأوضحت

---

(١) التفسير والمفسرون ٢١٣.

(٢) نفس المرجع ٢١٥/٣.

معانيه ومراميه وأظهرت مافيه من سنن الكون الأعظم، ونظم الإجتماع، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة، ومشاكل الأمم عامة، بما أرشد إليه القرآن، من هداية وتعاليم جمعت بين خيرى الدنيا والآخرة، ووفقت بين القرآن وبين ما أثبته العلم من نظريات صحيحة، وَجلَّت للناس أن القرآن كتاب الله الخالد، يساير التطور الزمنى والبشرى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ودفعت ماورد من شبه على القرآن، وفندت ماأثير حوله من شكوك وأوهام، بحجج قوية قذفت بها الباطل فدمغته، فإذا هو زاهق.

كل هذا بأسلوب شيق جذاب يستهوى القارئ، ويستولى على قلبه، ويحبب إليه النظر فى كتاب الله، ويرغبه فى الوقوف على معانيه وأسراره(١).

ومن الكتب المؤلفة فى هذا النوع:

تفسير المنار	لرشيد رضات ١٣٥٤هـ.
تفسير المراغى	للمراغى ت ١٩٤٥م.
تفسير القرآن الكريم	للشيخ شلتوت.

---

(١) نفس المرجع.

ثانيا: التفسير الإجمالي

وهو بيان الآيات القرآنية بالتعرض لمعانيها إجمالا، وذلك بأن يعمد الباحث إلى الآيات القرآنية، على ترتيب التلاوة ونظم المصحف - كما في النوع الأول - فيقصد إلى معاني جملها، متتبعاً ماترمى إليه من مقاصد، وما تهدف إليه الجمل من معان، يكون في عرضه لهذه المعاني قد وضعها في إطار من العبارات التي يصوغها من ألفاظه، ووضعها في قوالب تستسيغها الجماهير، ويدركها من له من العلم زاد قليل.

وهو إذ يسير في ذلك التفسير على نهج القرآن في ترتيبه يجعل المعاني متصلا بعضها ببعض.

وهو إذ ينطق بعبارته التي صاغها من ألفاظه، يأتي بين الفَيْنَةِ والفَيْنَة بلفظ من ألفاظ القرآن، حتى يشعر السامع أنه لم يكن بعيداً في تعبيره عن سياق القرآن، ولا مجانباً لمجموع ألفاظه، وحتى يحقق التفسير من جانب، ويكون رابطاً نفسه بنظم القرآن من جانب آخر، ويكون في الموضوع الذي يجانب فيه لفظ القرآن آتيا بلفظ يكون أوضح عند السامعين، وأيسر في الفهم عند المخاطبين.

وفي الموضع الذي يعبر فيه بلفظ القرآن، يكون ذلك اللفظ القرآني الذي نطق به في جملة ألفاظه: واضح المعنى، جلي المقصود، وبذلك يكون فيما جاء به من لفظ موضحاً الهدف، ومكملا للفائدة المرجوة.

مستعيناً لذلك بما يوصله إلى هذا الغرض: كأن يلمح إلى مايحتاج إليه الموضوع في إيجاز، من حادثة تاريخية أو سبب نزول، أو حديث نبوي، أو أثر عن السلف الصالح(١).

ومن كتب هذا النوع:

تفسير القرآن الكريم   للأستاذ محمد فريد وجدي.

التفسير الوسيط   إصدار مجمع البحوث الإسلامية.

---

(١) دكتور: أحمد السيد الكومي. التفسير الموضوعي ص٦.

ثالثا: التفسير المقارن

وهو بيان الآيات القرآنية على ماكتبه جمع من المفسرين، وذلك بأن يعمد الباحث إلى جملة من الآيات القرآنية في مكان واحد، ويستطلع آراء المفسرين فيها، متتبعاً من كتب في تفسير تلك الجملة من الآيات، سواء كانوا من السلف، أو كانوا من الخلف، وسواء أكان تفسيرهم من التفسير المنقول، أم كان معتمداً على الرأى.

ويوازن بين الاتجاهات المختلفة والمشارب المتنوعة فيما سلكه كل منهم في تفسيره، وما انتهجه في مسلكه، فيرى من كان منهم متأثراً بالخلاف المذهبى، ومن كان منهم قاصداً تأييد فرقة من الفرق، أو مذهبا من المذاهب.

ويوضح أن منهم من تأثر بفنه الذى غلب عليه، وثقافته التى برع فيها، ليبرز نواحى كل مفسر فى تفسيره، وكيف غلب على هذا نحوه، فأكثر من وجوه الإعراب، وعلى ذلك بلاغته، فذكر من نواحى الفصل والوصل والإيجاز والإطناب، وعلى آخر قصصه، فذكر من الحوادث والقصص مالا يتفق مع المعقول، ولا يؤيده المنقول، وكيف غلب على غير أولئك تشيعه، أو تصوفه، أو ما تمذهب به من معتزلة وأشاعرة، وما ملأت به طائفة أفكارها من علوم كونية، ونظريات علمية، واتجاهات فلسفية.

كل ذلك: يكون فيه معرجا على مايستسيغه بنقله، وناقداً مالا يقبله بذوقه ...

وقد يكون ذلك النوع من التفسير المقارن: ذا مجال أوسع، وجو أفسح، إذ يتجه فيه مفسر إلى:

مقارنة للنصوص القرآنية - المشتركة فى موضوع واحد - بعضها بعض. وآخر إلى: مقارنة النصوص القرآنية بالأحاديث النبوية، فيما كان ظاهره الخلاف، إلى غير ذلك من الأبحاث(١).

---

(١) الدكتور: أحمد السيد الكومى، المرجع السابق ٨/٧

رابعا: التفسير الموضوعي

وهو مجال دراستنا هذه، وحديثنا عنه - وفيه - يستغرق بقية الصفحات على الوجه التالي:

التفسير الموضوعي

(دراسة منهجية)

* تقديم.
* نوعا التفسير الموضوعي.
* تعريف ... وأمثلة.
* نشأة هذا اللون من التفسير.
* السبب في عدم الاهتمام به قديما.
* بواعث الاهتمام به حديثا.
* منهج التفسير الموضوعي.
* منزلة التفسير الموضوعي بين مناهج التفسير.
* الفرق بين هذا اللون والمناهج الأخرى.
* أهمية التفسير الموضوعي. ومدى حاجة الداعي اليه.
* أخطاء يجب تحاشيها.
* بعض مؤلفات في التفسير الموضوعي.

تقديم

رأينا - فيما تقدم - أن علماءنا الكبار قد عنوا عناية كاملة، بتفسير القرآن الكريم، تفسيراً جمع بين كل جهة فى الكلام من مطول إلى مختصر، ومن واسع تعرض للمذاهب الكلامية، أوالعلمية، وبيان آراء الفرق والمذاهب، ومن ضيق اقتصر على المطلوب، والبعض نحا بتفسيره ناحية بلاغية وآخر نحا ناحية تشريعية وثالث نحا ناحية الأبحاث اللغوية.

والحمد لله ! فإن المكتبة العربية مليئة بكتب التفسير فى جميع المجالات.

وأقل ما يقال فى هؤلاء الأعلام: أنهم أناس طوع الله لهم الزمن، وحباهم بفضل من عنده حتى أفنوا أعمارهم فى خدمة القرآن، فجزاهم الله عنا وعن القرآن خير الجزاء.

ولكن! فيما وصلنا إليه: لم يعن علماؤنا الأفاضل بجمع الآيات التى هى فى موضوع واحد، وذكرت لغرض واحد، وإن إختلف نزولها.

جمعها وترتيبها حسب النزول: لمعرفة موضوعها؛ حتى تهدم ما تلوكه بعض الألسنة: أن فى القرآن تكراراً لا حاجة إليه.

ولم نر إلا القليل: نظر فى السورة نظرة عامة، يعرف بها الغرض المقصود منها لأول وهلة. مع بيان أغراضها جملة، وربط بعض آياتها ببعض، حتى تظهر السورة فى صورة متكاملة متناسقة تامة.

أما الكلام على السورة ككل، مع بيان أغراضها العامة والخاصة، وما فيها، مع ربط الموضوعات بعضها ببعض، حتى تبدو السورة وهى فى منتهى الدقة والإحكام.

فأول من تكلم عن هذا، وكشف عن بعض أسراره، هو العلامة الفخر الرازى، وله جهد مشكور فى هذا الباب.

وفى الحديث:

نجد المرحوم الشهيد/ سيد قطب فى كتابه القيم «فى ظلال القرآن» فى مقدمة كل سورة.

وكذلك: المرحوم الاستاذ سعيد حوّى فى كتابه «الأساس فى التفسير».

وأيضا صاحب: «التفسير الواضح»(١) عليه رحمة الله.

وللعلامة الشاطى فى «الموافقات» بحث ظريف فى هذا الموضوع، يقول:

«إن السورة الواحدة مهما تعددت قضاياها، فهى تكون قضية واحدة، تهدف إلى غرض واحد، أو تسعى لإتمامه، وإن اشتملت على عديد من المعانى»(٢).

أما الكلام عن جمع الآيات التى فى معنى واحد، وجعلها تحت عنوان واحد وتفسيرها تفسيراً منهجياً موضوعياً.

فذاك: منهج جديد لكلية أصول الدين، ولقد بدأه بالفعل بعض الأساتذة الأفاضل(٣)، وظهرت براعمه وبعض ثمراته اليانعة بما يبشر بأهمية هذا المنهج ويؤكد حاجتنا إلى الإهتمام به فى هذا العصر.

---

(١) للدكتور: محمد محمود حجازى رحمه الله عليه.

(٢) الشاطى الموافقات ٣/ ٢٤٩.

(٣) دكتور: محمد محمود حجازى. الوحدة الموضوعية فى القران الكريم ص٢٣، ٢٤.

• نوعا التفسير الموضوعى

من هذا التقديم ندرك أن للتفسير الموضوعى نوعين: يهدف كلاهما إلى إبراز ما فى القرآن الكريم من أحكام وترابط وتناسق ونفى دعوى التكرار عنه وكذلك: دعاوى المستشرقين، وشبه المستغربين، وإظهار مدى عنايته بمصالح الخلق العامة والخاصة فى صور تشريعاته الحكيمة العادلة التى لو اتبعوها لبلغوا عن طريقها إلى السعادة فى الدنيا، والنعيم المقيم فى الآخرة.

وهما:

النوع الأول: الكلام على السورة ككل مع بيان أغراضها: العامة، والخاصة وما فيها، مع بيان ربط الموضوعات بعضها ببعض، حتى تبدو السورة وهى فى منتهى الدقة والإحكام - كما تقدم[1].

فمثلا: سورة سبأ.

حيث تبدأ بإثبات الحمد لله تعالى وتأخذ نوعاً من أنواع التربية المطلقة، ترجع إلى الملك، والتصرف الحكيم، والتدبير المحكم.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾[2].

ثم يجئ ما فى السورة: مقرراً للعلم الشامل، والقدرة النافذة والإرادة الحكيمة [3].

النوع الثانى: جمع الآيات القرانية التى فى موضوع واحد ووضعها تحت عنوان واحد، وتفسيرها تفسيراً منهجياً موضوعياً.

وهذا النوع - الثانى - هو الذى يتبادر إلى الذهن عند إطلاق اسم التفسير الموضوعى، وهو الذى يدور عليه بحثنا، وتهدف إليه دراستنا، على النحو التالى:

---

(١) نفس المرجع

(٢) سورة سبأ: آية ١، ٢.

(٣) الشيخ شلتوت. تفسير القرآن ص ٣٦٧.

• تعريف... وأمثلة

اسم التـفـسـيـر الموضـوعي - بحـسب النوع الثـاني - إصطلاح مستحدث، أطلقه العلماء المعاصرون على:

جـمع الآيات القـرانيـة، ذات الهـدف الواحـد - التي اشـتـركت في موضـوع ما - وترتيبها حسب النزول - ما أمكن ذلك - مع الوقوف على أسباب نزولها، ثم تناولها بالشرح، والبيان، والتعليق والإستنباط، وإفرادها بالدرس المنهجي الموضوعي، الذي يُجلّيها من جميع نواحيها، وجهاتها، ووزنها بميزان العلم الصحيح، الذي يبين الباحث معه الموضوع على حقيقته، ويجـعله يدرك هدفه بسـهولة ويسر، ويحـيط به إحاطة تامة، تمكنه من فـهم أبعاده، والذود عن حياضه(١).

والقرآن الكريم ملئ بالموضـوعات التي تحـتـاج إلى دراسـتـهـا دراسة منهجية موضوعية، لو توافر عليها الدارسون وأعطوها إهتمامهم؛ لظهرت كنوز القرآن الكريم على أيديهم في هذه الأبحاث ظهوراً يبين معه أننا أغنى أمة بالتشريعات الصالحة لكل زمان ومكان، وأننا في غنى عن استيراد هذه النظم التي يلاحقها التغيير المستمر، وهذه القوانين الوضعية، التي جعلتنا نعيش في غربة عن ديننا.

فمثلا:

آيات إثبات الألوهية، وعقيدة الوحدانية، آيات كثيرة، في ثنايا السور المكية، كما هي موجودة في السور المدنية.

يجمـعـها المفسـر ويرتبـها حسـب المنهـج: ثـم يشـرحها، ويسـتخلص

---

(١) أنظر: دكتور على خليل، المذكرات الخطية، دكتور محمد حجازي، الوحدة الموضوعية ص ٢٥.

منها المعنى المراد، الذى يحقق له الوحدانية، مدللة بالأدلة الواضحة، والبراهين القاطعة [١]. التى تمكنه من الرد على الملحدين، والمشككين والمتشككين.

كذلك:

آيات الربا، التى تبين دراستها حسب المنهج: أن هذا الداء الوبيل، والمرض المتفشى كان تحريمه من رحمه الله بعباده وشفقته عليهم، وأن الإستغناء عنه ممكن دون أى ضرر، بل قطع دائه هو الخير كل الخير.

وهكذا ...

---

(١) دكتور على خليل: نفس المرجع.

• نشأة التفسير الموضوعى

لقد سبق ذكر ما ورد عن النبى ﷺ من تفسيره للظلم - فى قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ - بالشرك الوارد فى قوله تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ .

ويقول: الدكتور على خليل - رحمه الله - تعقيباً على ذلك، «بهذه اللفتة الذكية، قد وجه - ﷺ - أصحابه إلى أن جمع المتشابهات من الآيات، يوضح المقام، ويرفع اللبس»[١].

ونقول: بهذا يشير الأستاذ الدكتور إلى البذرة الأولى فى الحقل الطاهر لهذا النوع من التفسير.

فضلا عن أنه يمكن لنا قياساً على ذلك:

أن نقول:

إن كل ما فسر من القرآن بالقرآن - وهو من التفسير بالمأثور - هو من التفسير الموضوعى وهو - فى نفس الوقت - بدايات قديمة لهذا المنهج ومن ذلك[٢] :

تفسير لفظ «كلمات» فى قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[٣]. بقوله عز وجل: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٤].

وتفسير المستثنى فى قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا

---

(١) من المذكرات الخطية.

(٢) دكتور: عبد العظيم الغباشى. علوم القرآن ص٩.

(٣) سورة البقرة: آية ٣٧.

(٤) سورة الأعراف: آية ٢٣.

يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[١]. بقـوله تعـالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾[٢].

ثم نجد بعد ذلك:

بذوراً أخذت تظهر في كثير من صفحات الكتب المطولة، التى عنيت بتـفسير القـرآن الكريم، ولكن بشكل ثـانوى، لم يقصد إليه كمنهج مستقل، وفى شكل موجز فى كثير من الأحيان كالفخر الرازى، والقرطبى، وابن العربى[٣].

ونجـد – مـع ذلك – من ينهـج منهـجـاً قـريبـاً مـن التـفسـير الموضوعى، مثل[٤]:

ابن القيم: الذى أفرد كتـابا من مؤلفاته للكلام عن أقسام القرآن، وسماه «البيان فى أقسام القرآن».

وأبو عبيدة : أفرد كتابا للكلام عن «مجاز القرآن».

والراغب : أفرد كتابا فى «مفردات القرآن».

وأبو جعفر النحاس : أفرد كتابا فى «الناسخ والمنسوخ من القرآن

والواحدى : أفرد كتابا فى «أسباب النزول».

والجصاص : أفرد كتابا فى «أحكام القرآن».

والناظر فيما كتبه هؤلاء الأعلام، يرى أن:

من كتب فى «أسباب النزول»: تحرى جميع الآيات التى نزلت على أسباب خاصة، فذكرها وذكر أسبابها، وبين المراد منها:

---

(١) سورة المائدة: آية ١.

(٢) سورة المائدة: آية ٣.

(٣) دكتور: أحمد مهنا. الإنسان فى القرآن الكريم ص١٨

(٤) دكتور: محمد حسنين الذهبى، التفسير والمفسرون ١/ ١٤٩.

ومن كتب فى الناسخ والمنسوخ: أورد جميع الآيات التى قيل بنسخها وذكر الناسخ لها من القرآن الكريم.

وكذلك من كتب فى «مجاز القرآن» تحرى جميع الألفاظ المجازية فى القرآن، وبين أنواع المجاز فيها.

وهكذا [١]..

ومن كل هذا:

ندرك أن نشأة هذا النوع من التفسير: قديمة بهذه البدايات، التى لم يقصد معها أن يكون لها طابع المنهج المستقل.

ولكنها تثبت لنا - على الأقل - أن هذا النوع من التفسير، ليس بجديد على بساط الدراسات القرآنية، وإنما الجديد: هو اهتمام الباحثين به على هذا النحو الذى جعله يأخذ له من المعالم والملامح، ما يوضحه ويميزه عن مناهج التفسير الأخرى، بل يبرزه بينها كمنهج فريد مستقل.

---

(١) دكتور: عبد العظيم الغباشى. علوم القرآن ص١٢٥.

• السبب فى عدم الاهتمام به قديما.

من المعلوم: أن المفسرين جرت عادتهم - فى موسوعاتهم ومختصراتهم - على تفسير القرآن الكريم - إجمالياً كان أو تحليلياً - على حسب ترتيبه الموجود بالمصحف، فيفسرون الآية تلو الآية، والسورة عقيب السورة، قاصدين - فى كل ذلك - الكشف عما فى القرآن، من معان وأسرار، يغلب على كل منهم - كما قدمنا - صبغة الفن الذى برع فيه مما جعل التفسير يتنوع، وتتعدد ألوانه باختلاف ثقافات المفسرين ومنازعهم.

ولم يهتموا خلال كل ذلك بتفسير القرآن موضوعياً لسببين:

الأول: أن التفسير الموضوعى ينحو بمنهجه ناحية الدراسة المتخصصة، التى تهدف - كما قدمنا - إلى دراسة موضوع واحد بعد استقصاء آياته، وجمعها - دون ماعداه - ثم الإنتقال إلى غيره، وهكذا.

وهم لم يكونوا يسلكون هذا السبيل، «لأن مبدأ التخصص لم يكن - قديماً - متجهاً إليه»[١].

والثانى: هو أن حاجتهم لم تكن ماسة لدراسة موضوعات القرآن الكريم على هذا النحو؛ فهم حفاظ للقرآن الكريم، ودرايتهم بالثقافة الإسلامية شاملة، وعميقة ولهذا: فلديهم القدرة على ربط ما تفيده الآية المتعلقة بموضوع معين بما يوضحها من معلوماته الخاصة، بالموضوع نفسه[٢].

وفى الحقيقة: نجد أن السبب فى ظهور هذا المنهج فى أيامنا هذه، هو ضياع هذا العامل - الثانى - من أبناء المسلمين، وصعوبته على الأجانب - بل استحالته عليهم - مسلمين كانوا، أو غير مسلمين.

---

(١) دكتور: أحمد مهنا. الإنسان فى القرآن الكريم ص ١٠.

(٢) نفس المرجع.

• بواعث تجديد البحث فى هذا النوع من التفسير حديثا:

(أ) لما كان القرآن كتابا سماويا، تنزل على قلب أكمل الأنبياء، مشتلا على معارف عاليه، ومطالب سامية، يجد المنقب عنها من الهيبة والجلال مايكاد يحول بينه وبين الوصول إليها.. !!

ولما كان مقصد القرآن: هو الإنسان حيث يكون، وإلى أى جنس ينتمى .. !

ولما كان دعوة عالمية تهدف إلى تطهير العادات وتوضيح العقائد وإسقاط الحواجز العنصرية والوطنية، وإحلال قانون الحق والعدل محل قانون القوة الغاشمة كما ذكرنا سلفا.. !!

نقول: لما كان كذلك، سهل سبحانه الأمر علينا، فلم يطلب منا إلا الفهم والتدبر فى كلامه.

لأنه نزله نورا وهدى للناس، وجعله حاويا للشرائع والأحكام التى لا يمكن العمل بها إلا إذا فهمت حق الفهم، من حيث هى دين إلهى وهدى سماوى، ترشد الناس إلى ما فيه سعادتهم الدنيوية والأخروية.

أما ما سوى ذلك من وجوه البحث والنظر – التى وقف عندها كثير من المفسرين لا يتعدونها – فتابع لذلك، ووسيلة إليه فى التحصيل، ولا يعنينا العناية التى نهتم لها اهتمامنا بفهم شرائع القرآن الكريم وأحكامه وكنوزه التى يكشف عنها أسلوبه الأدبى الرفيع[1].

ودراسته دراسة تكشف للناس عما فيه من تشريعات وقواعد تتصل بحياتهم ومشاكلهم، وتبين لهم ما به من أحكام ومبادئ تشعرهم بما للقرآن الكريم من اتصال وثيق بالنظم السياسية والإجتماعية والإقتصادية

---

(١) الشيخ المراغى: تفسير المراغى ١/ ١١.

والحربية، والسلوك الأخلاقي؛ فيحسون أن القرآن الكريم معهم في كل شأن من شئون الحياة، وأن له حكمه الواضح في كل مظاهر السلوك الفردي[١].

وطلاب المعرفة من المسلمين وغيرهم في عصرنا الحاضر لا يمكنهم الوصول إلي هذا الغرض من كتب التفسير التحليلي التي تجوى بين سطورها التفسير وغيره.

وذلك لأنهم:

١) درجوا على الدراسة الموضوعية التي تلم بأطراف القضية أو المشكلة وتربط بين أجزائها، لتعطى القارئ وحدة متكاملة.

ولذا فلن يغنيهم المنهج التحليلي في الوصول إلى أهداف الموضوعات القرآنية، مع ما درجوا عليه.

٢) أن كثيراً منهم ليس له إلف ومعرفة - يعوِّل عليها - بالقرآن الكريم ودراساته من قبل، حتى تمكنه من جمع أجزاء الموضوع، والربط بينها، بما يعطيه الصورة الكاملة لأبعاد الموضوع.

٣) ليس لديهم دراية بالثقافة الإسلامية، تشجعهم على محاولة الدراسة المستقلة الرائدة، ليصلوا عن طريقها إلى مرفأ أمين، ولذا يقف الآن أكثرهم حيارى لا يدرون أيٍّ طريق يسلكون[٢].

ب) هذا .. وقد وجد في عصرنا الحديث من قام من الأجانب مسلمين وغير مسلمين - تحت اسم العلم - بدراسات في موضوع القرآن الكريم، وكانت دراساتهم هذه تنتج لهم - كما يبغون - دعاوى باطله، وشبه واهيه[٣] يقف أمامها من لم يتحصَّن بقدر كبير من الثقافة الإسلامية أو

---

(١) دكتور: أحمد كمال المهدى ص٥.

(٢) دكتور: أحمد مهنا: الإنسان في القرآن الكريم ص١٢.

(٣) دكتور: أحمد مهنا: المرجع السابق ص ١٢.

دكتور: أحمد كمال المهدى. المرجع السابق ص٥.

من لم يتمرس على دراسة هذه الموضوعات التى يتحدثون فيها دراسة علمية موضوعية جادة، يقف أمامها موقفاً يغضب منه الله تعالى ورسوله.

لكل هذا - وغيره - كان واجباً على العلماء، وأئمة المفسرين فى عصرنا: أن يجددوا الإتجاه إلى دراسة القرآن الكريم دراسة موضوعية. تكشف للناس أهداف القرآن الكريم بطريقة تتناسب وأفهام أهل هذا العصر.

وأيضاً: تقضى على الدعاوى الباطلة التى يتفوّه بها المستغربون، والمستشرقون نتيجة لدراستهم للقرآن الكريم دراسة غير موضوعية، أو دراسة موضوعية مبتورة، أو دراسة موضوعية مضللة.

ولهذا: فإن أبحاث هذا النوع من التفسير إن كانت مفيدة ولازمة، فلسنا بأحوج إليها، وتجديدها، وتشجيعها، حاجتنا إليها فى هذا العصر، الذى نحن فيه أحوج ما نكون إلى تجديد أساليب الدعوة الإسلامية؛ كى نجارى الحاله الراهنة، وقد فتح الله أمامنا آفاقا عريضة، ووقع على كاهلنا الأخذ بيد كثير من أهل هذه الآفاق وحق علينا أن نكون رواداً لهذه الشعوب، ودعاة لهم إلى الله تعالى، وهداة لهم إلى الإسلام، الذى جاهد الرسول ﷺ وأصحابه بسيوفهم وبذل الكثير من الأصحاب دماءهم فى سبيل الله.

فليس كثيراً أن نقوم. بهذا الأمر أعلاء لكلمة الله.

وهذا اللون من التفسير يخدمنا فى تحقيق هذا الهدف إلى حد كبير.

• منهج الدراسة فى التفسير الموضوعى

(أ) مع أن بذور هذا النوع من التفسير قديمة، إلا أن منهج الدراسة فيه لم يتحدد منذ هذه البدايات القديمة، وكل ما يقال عنها: أنها محاولات مهدت لظهور هذا النوع، وسهلت تحديد ملامح البحث فيه.

فلقد سبق أن ذكرنا عن بعض العلماء: أنهم أفردوا كتباً تحدثوا فيها عن موضوع واحد من موضوعات القرآن.

وأن بعض المفسرين: كان يستخدم التفسير الموضوعى فى بعض صفحات كتبهم.

وهذا: وإن كان قريباً من التفسير الموضوعى، إلا أننا لا نجد لديهم ما يكون لنا منهجاً خاصاً لهذا النوع من التفسير.

(ب) أما عن منهج محدد واضح المعالم مفصل النقاط للدراسة فى هذا المنهج من التفسير، فلم يتضح ذلك إلا فى القريب، على يد أستاذنا الجليل فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد السيد الكومى - رحمه الله - رئيس قسم التفسير بجامعة الأزهر، وبعض زملائه أساتذة القسم، وتلاميذهم بقسم الدراسات العليا.

ويمكن لنا تحديد المنهج على النحو التالى:

١) إختيار الموضوع القرآنى المرآد دراسته دراسة موضوعية (١).

٢) حصر الآيات التى تدور حول هذا الغرض القرآنى، وجمعها(٢) كلها، مكيها، ومدنيها.

---

(١) يفيد فى ذلك لتدريب الطالب المبتدئ كتاب تفصيل آيات القرآن الكريم والمستدرك الذى يليه: ترجمة الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقى.

(٢) يفيد فى ذلك - أيضاً - الكتاب المذكور وكذلك المعجم المفرس لألفاظ القرآن الكريم. وضع الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى.

٣) ترتيب هذه الآيات حسب نزولها على النبى ﷺ، مع الوقوف على أسباب نزولها[١].

٤) التعرض لمعرفة مناسبات هذه الآيات فى سورها.

٥) تكوين الموضوع بجعله فى إطار متناسب، وهيكل متناسق، تام البناء، متكامل الأجزاء، قائم الأركان.

٦) تكميل الموضوع بما ورد من حديث الرسول ﷺ، إن احتاج الأمر ذلك، حتى يكمل له هيكله، ويزداد وضوحاً وبيانا.

٧) دراسة هذه الآيات دراسة موضوعية متكاملة، تجانس بينها، وتوفق بين عامها وخاصها، ومطلقها ومقيدها، وتؤاخى بين متعارضها، وتحكم بناسخها على منسوخها، حتى تلتقى جميع هذه النصوص فى مصب واحد، دون تباين أو اختلاف أو إكراه لبعض الآيات على معان لا تتحملها[٢].

هذا هو المنهج.

وهو منهج جديد لكلية أصول الدين[٣]، تسير عليه الآن بإشراف أساتذة بها أفاضل، وقد أخرجت بالفعل كثيراً من الأبحاث التى تنضوى تحت لواء التفسير الموضوعى.

---

(١) يفيد فى معرفة سباب النزول كتاب «أسباب النزول» للواحدى، وكتب التفسير.

(٢) أنظر: من هدى القرآن – للشيخ شلتوت ص٣٢٣، ٢٢٤.

التفسير الموضوعى – الدكتور الكومى ص٧.

الوحدة الموضوعية – للدكتور حجازى ص٢٤.

(٣) دكتور: حجازى. المرجع السابق ص٢٤.

• منزلة منهج التفسير الموضوعى بين مناهج التفسير الأخرى:

إن للتفسير الموضوعى - كما تبين - منهجاً خاصاً، لا يشاركه فيه منهج آخر، وبعد وضوح هذا المنهج، ومعرفة بواعث الإهتمام بهذا النوع من التفسير.

نقول: بعد ذلك، ما نظن أحداً يمارى فى فائدة هذا المنهج وجدواه، واستقلاله من حيث الطريقة والغرض، فى إعانة سالكه إلى طريق الصواب فى فهم الموضوع الذى يعالجه، دون ما عداه من المناهج الأخرى للتفسير.

فضلا عن أن: قوام هذا المنهج، هو تفسير القرآن بالقرآن - ما أمكن ذلك - وهو أحسن طرق التفسير بلا جدال.

يقول الحافظ «ابن كثير» فى تفسيره:

فإن قال قائل: ما هى أحسن طرق التفسير؟

فالجواب: إن أصح الطرق فى ذلك، أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل منه فى مكان، فإنه قد بسط فى موضع آخر ... الخ[١].

ويقول الأمام السيوطى فى «معرفة شروط المفسر وآدابه»:

قال العلماء: من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن، فما أجمل منه فى مكان، فقد فسر فى موضع آخر، وما اختصر فى مكان، فقد بسط فى موضع آخر[٢].

ولهذا نجد - كما يقول الدكتور أحمد مهنا - كثيراً من الباحثين فى السنين الأخيرة يكتب فى التفسير الموضوعى، ملتزماً هذا المنهج، وأيضاً: نجد الأبحاث تقرب من ساحته يوماً بعد يوم[٣].

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن.

(٢) السيوطى: الإتقان ٤/٢٠٠.

(٣) دكتور مهنا: المرجع السابق ص٢١.

وهذا المنهج – دون بقية المناهج – هو الطريقة المثلى – كما يقول الشيخ شلتوت – خصوصاً فى التفسير، الذى يراد إذا عته على الناس، بقصد إرشادهم إلى تضمنه القرآن من أنواع الهداية، وإلى أن موضوعات القرآن، ليست نظريات بحتة، يشتغل بها الناس، من غير أن يكون لها مُثُل واقعية، فيما يحدث للأفراد والجماعات من القضايا، وما يتصل يحياتهم من شئون[١].

(١) الشيخ شلتوت: من هدى القرآن ص٣٢٣.

• الفرق بين التفسير الموضوعى وبين مناهج التفسير الأخرى

أولاً: الفرق بين التفسير الموضوعى والتفسير التحليلى.

١) فى التفسير التحليلى يلتزم المفسر بالترتيب التوقيفى للآيات والسور كما هو فى المصحف.

أما فى التفسير الموضوعى فلا يلتزم ذلك الترتيب، وإنما يلتزم بترتيب آيات الموضوع المزمع دراسته حسب نزولها على النبى ﷺ، بعد تجميعها وانتزاعها من سورها.

٢) فى التفسير التحليلى: يتعرض المفسر للحديث عن عدة بحوث بحسب ما يرد فى الآيات أو السور التى يتناولها بالتفسير.

أما فى التفسير الموضوعى: فلا يتعرض المفسر لغير موضوعه، وما يدور فى فلكه من أبحاث تخدم موضوعه الذى شرع فى دراسته، وبذلك يتمكن من علاج موضوعات كثيرة، كل موضوع منها قائم بنفسه لا يتصل بسواه، ولا يختلط بغيره، فيعرف الناس موضوعات القرآن بعناوينها الواضحة، ويعرفون مقدار صلة القرآن بحياتهم الواقعية(١).

٣) فى التفسير التحليلى: يتعرض المفسر للألفاظ والآيات القرآنية بالشرح والتحليل بما يتفق ومنهجه التفسيرى، وثقافته الخاصة.

أما فى التفسير الموضوعى: فلا يشرح من ذلك إلا ما يحتاجه للوصول لغرضه ويكشف له عن غوامض موضوعه.

٤) فى التفسير الموضوعى: يمكن أن تنظم الموضوعات القرآنية، على هيئة أبحاث مستقلة - كما سبقت الإشارة - ينفرد بعضها عن بعض بالبحث والدراسة التى تظهر هداية القرآن على الوجه الذى يطمئن إليه القلب ويشق طريق الحياة لصاحبها، ويلهمه الرشد والسداد.

---

(١) الشيخ شلتوت: من هدى القرآن ص ٣٢٤.

أما فى التفسير التحليلى وبأساليبه المختلفة: يصعب على الناظر أن يجد ذلك.

ثم إننا نجد فوق ذلك: أن المنهج الحليلى: هو المعروف من القديم، والذى تزخر المكتبة القرآنية بالتفاسير التى التزمت به.

أما الموضوعى: فهو - وإن وجدت له فى القديم بذوره، وألفت فيه بعض الكتب، إلا أنه - لم يأخذ طابعه النهائى بعد، وما زالت المكتبة الإسلامية القرآنية تتطلع إلى الكثير من أبحاثه، يترجم هذا التطلع الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بقوله: «نود بكل الصدق والإخلاص أن تتضافر جهود العلماء والباحثين على المستوى الفردى والجماعى على هذا اللون من التفسير المتكامل مكتبة جليلة فى البحوث القرآنية»(١).

ثانياً: الفرق بين التفسير الموضوعى وبين التفسير الإجمالى.

١) بينما نجد المفسر حسب منهج التفسير الموضوعى يهدف إلى: موضوع واحد متتبعاً لآياته حيثما كانت، فى مكى القرآن أو مدنيه بغض النظر عن ترتيبها المصحفى.

نجد أن صاحب التفسير الإجمالى - وإن كان: يعمد إلى الآيات القرآنية، قاصداً إلى معانى جملها، متتبعاً ما ترمى إليه من مقاصد، وتهدف إليه الجمل من معان، مبينا لهذه المقاصد، وموضحاً لهذه المعانى، بوضع كل ذلك فى إطار من العبارات التى يصوغها من ألفاظه (٢) فإنه - يسير فى تحقيق هدفه هذا غير مخالف ترتيب المصحف، بل متبعاً له كما هو موجود فى المصحف العثمانى.

٢) فى التفسير الموضوعى: يهدف الباحث إلى خدمة موضوع واحد، ويظل ملتزما بالعمل فى إطاره حتى يتم له بحثه وتوضيحه فى منهجية

---

(١) الدكتور: محمد عبد الرحمن بيصار. مقدمة «الإنسان فى القرآن» ص٣

(٢) دكتور: أحمد السيد الكومى. التفسير الموضوعى ص ٦.

وموضوعية تمكنه من إبراز كل نواحيه، وتوضيح كل خوافيه، كما تمكنه من الدفاع عنه إذا تطلب الأمر.

أما فى التفسير الإجمالى: فإن المفسر لا يهدف إلى موضوع واحد، بل هو يتناول فى تفسيره كل ما تشير إليه الآيات - بترتيبها المصحفى - من موضوعات دون أن يربط هذه الآية الواردة فى هذا الموضع بالأخرى التى فى نفس الموضوع إلا إذا كانت بطريقة إجمالية، يستيغها القارئ، ويدركها من له من العلم زاد قليل.

ثالثاً: الفرق بين التفسير الموضوعى وبين التفسير المقارن.

١) أن التفسير الموضوعى - كما قدمنا - يهدف إلى دراسة موضوع قرآنى واحد.

بينما يهدف التفسير المقارن إلى «بيان الآيات القرآنية على وفق ما كتبه جمع من المفسرين»(١).

٢) أن التفسير الموضوعى كى يصل الباحث فيه إلى الهدف: لابد من جمع الآيات القرانية التى تتصل بنفس موضوع البحث، وتكوين الموضوع القرآنى على ضوئها، والعمل لخدمته تحت ظلال مفاهيمها.

بينما الباحث فى التفسير المقارن كى يصل إلى هدفه «لابد أن يعمد إلى جملة من الآيات القرآنية فى مكان واحد، مستطلعاً آراء المفسرين الذين كتبوا فى هذه الجملة من الآيات، سواء كانوا من السلف، أم من الخلف إلخ ويوازن بين هذه الإتجاهات المختلفة، والمشارب المتنوعة، فيما سلكه كل منهم فى تفسيره وما اتجهه فى مسلكه»(٢).

---

(١) المرجع السابق: ص٧.

(٢) نفس المرجع.

• أهمية التفسير الموضوعى .. ومدى حاجة الداعى إليه.

إن من ينعم نظره، ويعمل فكره فى هذا اللون من الدراسة القرانية يرى أنه محاولة جادة وحميدة لمسايرة أفكار الناس ومشاربهم، ومتابعة لإهتماماتهم، وملاحقة لقضايا العصر، التى أصبح جيلنا فى حيرة من أمرها، وتطلع لكم الدين فيها، ولو قدمت الأبحاث القرآنية بطريقة تناسب فى أسلوبها طرائق العصر ومفاهيمه؛ لوجد الناس فيها السكن لخواطرهم، والراحة لأفكارهم التى بلبلها التطور العلمى، بالإضافة إلى البعد عن الدين.

ولذا: فإنه يمكن لنا معرفة أهمية هذا النوع من التفسير - فضلا عما سبق توضيحه - بذكر الفوائد التالية:

١) أنه بجمع الآيات المتعلقة بموضوع واحد - بعضها مع بعض فى مقام واحد - يحكم بعضها على بعض، وتكون هذه الآية مفسرة لتلك: يكون تفسيراً بالمأثور، وهو أبعد من الخطأ، وأقرب إلى طريق الصواب كما نكر ذلك[١].

٢) أنه بجمع الآيات القرآنية، يدرك الباحث ما بينها من إنسجام وترابط وبذلك: «يبين له معانى القرآن وهدايته، ويظهر له فصاحته وبلاغته»[٢].

٣) أن جمع الآيات: يعطى الناظر فى الموضوع الواحد فكرة تامة، تجعله يستقصى كل ما ورد فيه من النصوص القرآنية دفعة واحدة، فيخرج من الموضوع وقد أحاط به إحاطة تامة [٣].

---

(١) دكتور على خليل: المذكرات الخطبة.

(٢) دكتور عبد العظيم الغباشى. علوم القرآن ص ٥٧.

(٣) نفس المرجع ص ١٥٣.

٤) أنه بجمع الآيات: يمكن الباحث والداعية، دفع التعارض، ورد الشبهات التى قد يثيرها نووا الأغراض السيئة [١]، كما يمكنه دفع ما يزعمه البعض من أن هناك عداوة بين الدين والعلم[٢]، عند تعرضه لبعض القضايا العملية التى تعرض لها القرآن الكريم.

٥) أن هذا اللون من التفسير: يتفق مع روح العصر الحديث الذى يطالبنا أن نخرج للناس أحكاما عامة للمجتمع الإسلامى، مصدرها القرآن الكريم فى صورة مواد وقوانين مدروسة يسهل تناولها والإنتفاع بها[٣].

رجاء أن يكتفى بها ويعمل بمقتضاها من يهرعون عادة عند التقنين إلى القوانين الوضعية، مهما اختلفت مصادرها، وتباعدت عن مجتمعنا وروح دينه.

٦) أن هذا اللون من التفسير: يمكن الداعية، محاضراً كان، أو باحثاً من الإحاطة التامة بأبعاد الموضوع وزواياه، بالقدر الذى يمكنه أن يعلل للناس أحكامه بطريقة وافية، واضحة، مقنعة، وأن يكشف لهم أسراره وغوامضه بدرجة تستريح معها قلوبهم وعقولهم إلى نزاهة الحكيم، ورحمته بعباده فيما يشرع لهم.

٧) أن هذا اللون من التفسير: يمكن الباحث من الوصول سريعاً إلى الهدف دون تعب أو مشقة بين ما ملئت به كتب التفسير التحليلى من أبحاث لغوية أو فقهية ... الخ مما يعوقه عن غرضه نوعا ما.

---

(١) دكتور على خليل. المرجع السابق.

(٢) دكتور عبد العظيم الغباشى. المرجع السابق ص٥٧.

(٣) دكتور على خليل: المرجع السابق.

٨) وختاماً: فإن العصر الذى نعيش فيه، يحتاج - كما يقول الأستاذ الدكتور أحمد السيد الكومى بحق - إلى ذلك النوع من التفسير، حيث كان فى سلوكه إدراك المقصود من أقرب الطرق والوصول إلى الحقيقة بأسهل الوسائل خصوصا أنه فى عصرنا - هذا - يثار كثير من الغبار فى جو الأديان، فتنتشر المبادئ الهدامة - وتحلق فى سماء الإنسانية سحب الضلال والشبه.

وليس يقوى على ذلك إلا سلاح قوى، واضح، سهل يمكن عالم الدين من الذود عن حياضه، والدفاع عن دعائمه.

وليس هذا - وذاك - إلا بذلك التفسير، حيث كان جامعاً لشتات الموضوعات، محيطا - بأطرافها[1].

---

(١) دكتور: أحمد السيد الكومى. التفسير الموضوعى ص١٠.

• أخطاء يجب على متبع هذا المنهج تجنبها:

بعد أن عرفنا - فيما سبق - مزايا هذا المنهج من التفسير وفوائده نحب أن نلفت النظر إلى أربعة أمور ينبغى علي من يسلك هذا الطريق من التفسير مراعاتها.

وهى:

أولا: أن يعلم أنه بهذه الطريقة لا يفسر القرآن الكريم.

إذ أن للقرآن الكريم: مقاصد لا تخفى، وأهدافاً لا يبلغ الإنسان غايتها ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد، ولا يصل عقل عاقل إلى أغواره، ولا ينفذ الباحث إلى كل مراميه.

ولو فهم متبع هذا المنهج أنه يفسر - على هذا - القرآن، ولم يصل إلى مقاصده وأهدافه، لوقع من أمره فى حيرة، ومن منهجه فى تشكك واختلط عليه الأمر، ولم يصل إلى نتائج سليمه، سواء من ناحيه أهداف التفسير بعامه، لأنه لا يفسر القرآن بهذا المنهج، أو من ناحية بحثه الموضوعى، لأنه لم يحدد لنفسه هدفاً واضحاً واحداً يقصده بعمله دون غيره.

ثانيا: أن يعلم متبع هذا المنهج، أنه يقصد إلي هدف واحد - تاركا كل الأهداف دونه - لا يحيد عنه فى دراسته، ولا يقصِّر فى بحث جميع جوانبه، وإظهار كل خوافيه.

وإلا.. فسيرى: أنه لا يحس بلاغه القرآن، ولا يشعر بإعجازه، ولا يدرك جمال الربط بين آياته، وروعة التناسق بين أجزائه، ولا يلمس الجمال والإبداع حينما ينتقل من روضة من رياضه إلى روضة أخرى، كما فى التفسير التحليلى.

وعلى هذا: فلو لم يحدد الباحث لنفسه هدفاً واحداً واضحا، واختلطت عليه الأهداف، لما وصل إلى نتائج التفسير الموضوعى.

ثالثا: أن يتنبه إلى تدرج القرآن فى أحكامه.

ذلك أن القرآن الكريم: نزل فى ثلاث وعشرين سنة، منجما مفرقاً، حسب الحوادث، تقريراً لحكم، أو جوابا لسؤال، أو دفعا لفريه، أو تقريراً لمبدأ، أو تخفيفا لحكم نزل، أو نسخا لحكم تقرر.

فمن لم يسلك طريق: التدقيق، والتمحيص، والموازنه، والمقارنة، ومعرفة السابق واللاحق، وسبب النزول، وكان - مع ذلك - لم يعرف الملابسات والمناسبات، ولم يعرف ما ورد فى هذا المقام من السنة النبوية، وآراء الصحابة.

فإنه - لا شك - يقع فى مزالق وأخطاء بعيدة الغور خطيرة النتائج، سيئة العواقب.

ويتضح هذا بالمثال التالى(١).

فلو أن مفسراً - حسب منهج التفسير الموضوعى - جمع آيات من القرآن الكريم، بما فيها من مطلق: كقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وحرم الرِّبَا﴾(٢)، وكذلك المقيد: كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾(٣).

وقال: أنا أحمل المطلق على المقيد، وبذلك يكون الحكم - فى نظره - أن الربا لا يحرم إلا إذا كان أضعافاً مضاعفة، وماليس كذلك فليس بحرام.

---

(١) دكتور: على خليل، المرجع السابق.

(٢) سورة البقرة: من آية ٢٧٥.

(٣) سورة آل عمران: من الآية ١٣٠.

لوقع بهذا فى أعظم المخاطر، حيث إنه ليس دائماً يحمل كل مطلق على مقيد، وليس كل خاص يدخل تحت حكم العام، بل العبرة فى الأعم الأغلب بزمن النزول وملابساته، ومعرفة التدرج فى التشريع.

وفى هذا المثال: لو أنه عرف أن النهى عن ذلك المقيد، إنما كان سابقاً فى النزول، متجهاً إلى ذلك اللون من الربا الذى كان حاصلا أولا. وكان عليه أمر الجاهلية، ثم جاء التحريم البات - بعد ذلك - لكل أنواع الربا، وحرم قليله وكثيره، كما تشير إلى ذلك بقية الآية ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ... الخ الآيات ﴾.

نقول: لو أنه عرف تدرج القرآن فى نزول أحكامه، لما وقع فى هذا الخطأ.

رابعاً: وعلى متبع هذا المنهج من التفسير: أن يطبق قواعد هذا المنهج، وخطواته - وقد سبق بيانها - تطبيقا دقيقا، فى بحثه الذى يهدف دراسته، وإلا خفيت عليه الصورة الكاملة للموضوع، كما يهدف إليها القرآن الكريم ولتشوه على يديه الوجه المشرق لموضوعات القرآن السامية، ولعجز - بالتالى - عن الدفاع عن دينه، وكتابه المقدس الشريف.

• مؤلفات فى التفسير الموضوعى:

ذكرنا فيما سبق أن بعض العلماء - فى القديم - أفردوا كتبا من مؤلفاتهم وخصصوها للحديث عن موضوع قرآني واحد.

وأن الإتجاه قد تجدد وتحدد - للدراسة فى هذا النوع من التفسير - فى العصر الحديث.

ومنذ إلحاح الدوافع المشجعة للبحث فيه، أخذت المؤلفات تظهر فى المكتبة العربية، ويعتبر الزعيم لهذا اللون فى العصر الحديث هو الشيخ محمد عبده، ولذا فإننا نلمح فى تفسير «المنار» - وإن كان فى جملته تفسيراً تحليلياً - ميلا شديداً إلى التركيز على بعض المواضيع، ثم ظهر تفسير الشيخ شلتوت: وهو الإبن البار لمدرسة الشيخ محمد عبده، والشيخ شلتوت هو أول من وضع الملامح الرئيسية لمنهج هذا التفسير[1]. ثم حوت بعد ذلك سجلات الرسائل العلمية موضوعات هذا اللون من التفسير الموضوعى الشئ الكثير.

ونذكر هنا بعض هذه المؤلفات للتمثيل لا الحصر:

١) المرأة فى القرآن الكريم: للأستاذ عباس العقاد.

٢) الربا فى القرآن الكريم: للأستاذ أبو الأعلى المودودى.

٣) العقيدة من القرآن الكريم: للأستاذ محمد أبو زهرة.

٤) الألوهية والرسالة فى القرآن الكريم: للأستاذ محمد محمد السماحى.

٥) الإنسان فى القرآن الكريم.

٦) مقومات الإنسانية فى القرآن الكريم

٧) آيات القسم فى القرآن الكريم: للدكتور أحمد كمال المهدى.

---

(١) من المذكرات الخطية.

٨) الوصايا العشر: للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت.

٩) وصايا سورة الإسراء: للدكتور عبدالحى الفرماوى.

١٠) الاستقامة (فلاح فى الدنيا .. ونجاة فى الآخرة) د. عبدالحى الفرماوى.

١١) البداية فى التفسير الموضوعى د. عبد الحى الفرماوى.

١٢) موسوعـــة التفسير الموضوعى د. عبد الحى الفروماوى.

ومنهج الدراسة ينطبق - تماما - فى بعض هذه الكتب، ولا ينطبق فى بعضها الآخر.

الفهارس

* مصادر البحث

* كتب للمؤلف

* الفهرس العام

مصادر البحث

١) الإتقان فى علوم القرآن — للإمام السيوطى

٢) الإنسان فى القرآن الكريم — د. أحمد مهنا

٣) آيات القسم فى القرآن الكريم — د. أحمد كمال المهدى

٤) التبيان فى آداب حملة القرآن — للإمام النووى

٥) التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن — حنفى أحمد

٦) تفسير القرآن العظيم — للإمام ابن كثير

٧) تفسير القرآن. — للشيخ شلتوت

٨) تفسير المراغى — للشيخ المراغى

٩) التفسير والمفسرون — د. محمد حسين الذهبى

١٠) التفسير الموضوعى — د. أحمد السيد الكومى

١١) التفسير الواضح — د. محمد محمود حجازى

١٢) علوم القرآن — د. عبد العظيم العباشى

١٣) مذكرات خطية فى علوم القرآن — د. على خليل

١٤) مقدمة الإنسان فى القرآن الكريم — د. محمد عبد الرحمن بيضار

١٥) من هدى القرآن الكريم — للشيخ شلتوت

١٦) الموافقات — للإمام الشاطبى

١٧) الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم — د. محمد محمود حجازى

كتب للمؤلف

١) الإرهاب ... بين الفرض والرفض فى ميزان الاسلام.

٢) الاستقامة ... فلاح فى الدنيا ونجاة فى الآخرة.

٣) البداية فى التفسير الموضوعى.

٤) تدوين القرآن الكريم.

٥) تهذيب تفسير ابن كثير ت ٧٧٤هـ (تحقيق .. وتعليق).

٦) جراحة التجميل .. بين التشريع الإسلامى والواقع المعاصر.

٧) حرب الخليج فى ميزان الإسلام .. أسباب وأحكام.

٨) الخلافات الزوجية .. (صورها - أسبابها - علاجها).

٩) دروس حركية من الهجرة النبوية.

١٠) رسم المصحف .. بين المؤيدين والمعارضين.

١١) زاد الدعاة من هدى القرآن الكريم (ثلاثة أجزاء).

١٢) زينة المرأة .. بين التشريع الإسلامى والواقع المعاصر.

١٣) السلام فى الاسلام.

١٤) سورة يوسف عليه السلام (مشاهد .. ودروس).

١٥) صحوة فى عالم المرأة (رد على د. زكى نجيب محفوظ).

١٦) الغربيون ... خنايز أوربا.

١٧) طريق السعادة (التوبة الى الله).

١٨) عشر مخالفات شرعية .. فى مؤتمر السكان (القاهرة ١٩٩٤م).

١٩) قصص الأنبياء للإمام ابن كثير ت ٧٧٤هـ (تحقيق).

٢٠) قصة النقط والشكل .. فى المصحف الشريف.

٢١) كتابة القرآن الكريم بالرسم الإملائى أو الحروف اللاتينية (إقتراحان مرفوضان).

٢٢) ليلة القدر فى الكتاب والسنة.

٢٣) المسلمون بين الأمة والنهضة.

٢٤) مشروع برنامج تربوى إسلامى لإصلاح النفس.

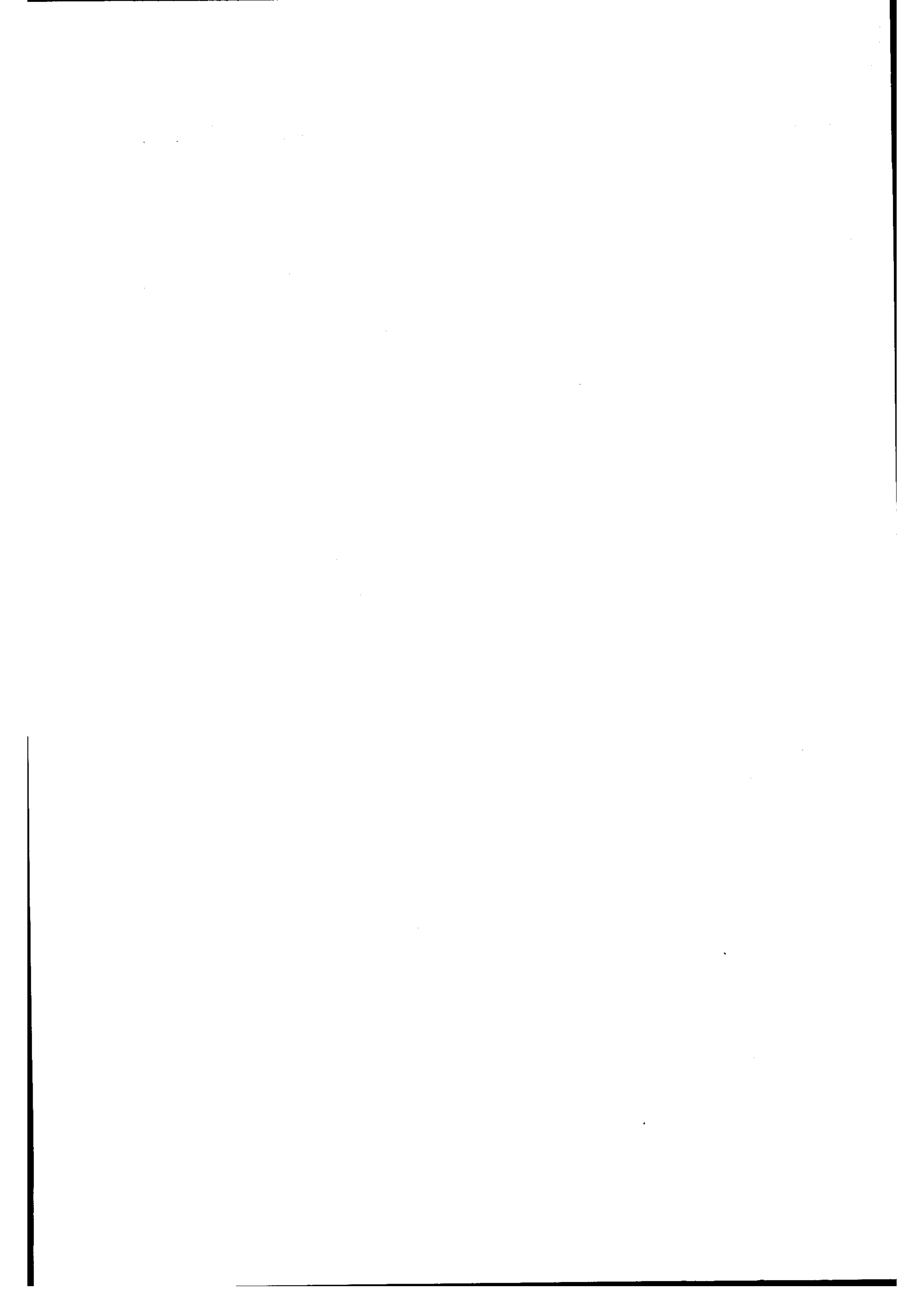
٢٥) منجد المقرئين .. للإمام ابن الجزرى ت ٨٣٣ هـ (تحقيق).

٢٦) الموت فى الفكر الإسلامى.

٢٧) الموت وأهوال القيامة. للامام الغزالى ت ٥٠٥ هـ (تحقيق).

٢٨) موسوعة التفسير الموضوعى حـ١.

٢٩) وصايا سورة الإسراء.



الفهــرس العام

صفحة

التفسير الموضوعى

(دراسة منهجية)

من ص ٤٣ إلى ص ٧١

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٦٢٥ لسنة ١٩٩٧م